الحقيقةُ المُشتركةُ بينَ الأديان التوحيديّة

التوحيد ـ المُشتَركات ـ الأديان ـ العدل

الحقائقُ المُشتركةُ بينَ الأديان التوحيديّة كثيرة، إلّا أنّ الأصلَ الأوّل المُجمع عليه بينَ التشريعات هو توحيد الله تعالى، وإن إختلفوا في الصفات والمُسميات، أمّا الأصل الثاني المُجمع عليه شرعاً وعقلاً ووجداناً بين التشريعات السماويّة هو (العدلُ)، فالعدلُ عنصرٌ وحقيقةٌ مُشتركةٌ في كِيانِ الفَرد لو خُلّي ونفسهُ، دون تأثيرات خارجيّة، وأن الفطرةَ كافيةٌ في المَيلِ النفسي نحو إقامة العَدل وتحقيق المُساواة، وإن إختلفوا في مفهومه ومصاديقه، وأنَّ كثرةَ ورود مفردة العدل لفظاً ومعنى، في القرآن المجيد والسُنّة المطهّرة، كاشفٌ عن أهميتهِ وضروريتهِ في تحقيق السِلم المُجتمعي والتعايش بين الأديان والقوميات والشعوب، بل أنّ القرآن المجيد لم يكتفي بالنُصح والإرشاد نحو العدل، وإنّما الزم الإنسان المؤمن بإيجاد وتحقيق العدل واقعاً، وحذّر مِن الصيحات والدعوات الضالة التي تتنافى وتحقيق العدل والقِسط بين الشعوب، وأنَّ ذلكَ جُرمٌ وقُبحٌ بِحق الإنسان والإنسانيّة، ومُخالفٌ للتقوى، قال تعالى{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالقِسطِ وَلَا يَجرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَومٍ عَلَى أَلَّا تَعدِلُوا إعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ}** المائدة ـ 8 ـ. وأنَّ مَن خلقَ الإنسانَ والأديان، قادرٌ على وضعِ الأُسس والقواعد العَقليّة والعَقديّة والوجدانيّة، المُفضية الى تحقيقِ العَدلِ والسّلام المُشترك، وقادرٌ على وضعِ الحصانةِ والميزان التام، تفضلاً ومِنّةً وعدلاً بينَ العِبادِ.

والسؤال الرئيس: الّذي ينبغي أن يطرح نفسهُ في البحث، حقيقة وجود الأصل الشرعي والعقلي والطبيعي، ومقدار الكشف عن المُشتركات بين التشريعات السماويّة، وما مقدار التاثير الإيجابي، في تحقيق العدل الإلهي، وتحقيق التكافل المُجتمعي، وأنّ الأُصول المُشتركة حصانةٌ ومظهرٌ مِن مظاهر رحمة الله تعالى وتجلياته في خَلقه. وقد كشفت النصوص التوراتيّة الواردة في أحاديث أهل البيت(عليهم السّلام)، عن وحدة العناصر الأساسيّة في الأديان التوحيديّة، والتي تُسهم في التقريب بين الأديان، مضافاً الى أنَّ التحريف الّذي أصاب الكُتب السماويّة، تطلّب إيجاد وسيلة لِحفظ النصّ الأصلي الوارد عن الله تعالى، فإقتضت الحِكمة الإلهيّة في بقاء الإمتداد الإلهي، بوجود أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وجعلهُم شهوداً وحفظةً للكتب السماوية، يتوارثونها واحد تلو الآخر، فقد وردَ أنَّ الجاثليق بريهة النصراني، الذي أسلم على يدِ الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)، حينما شاهد الإمام يقرء الإنجيل والتوراة للمحاججة، قال بريهة: أنّى لكم التوراة والإنجيل وكُتب الأنبياء؟ قال: **هي عندنا ورائة، مِن عندهُم نقرأها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوا، إنَّ الله لا يجعل حجّةً في أرضه يُسأل عن شيءٍ فيقول لا أدري**[1].
ومن هنا تَطلّبَ مِنّا البحث عن الأصل الأوّل الّذي بُنيت عليه التشريعات،والوصول الى المُشتركات والأصول الحقيقيّة المُوصلة لوحدة النوع الإنساني.

هيكليّةُ البحث: البحث المُقدّم مُكوّن من مبحثين وإربعة مطالب، تندرج تحتها المسائل، التي تُحيط بالمطالب من جميعِ نواحيه، ويكون كالتالي:

المبحث الاوّل: الأصل العقلي للإنسان. المبحث الثاني: الأصل الديني للإنسان.

والمنهج الّذي يعتمدهُ البحث في الدرجة الأساس هو المنهج التحليلي للنصوص، وبالخصوصِ الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السّلام)، والتي تخصّ العناصر المُشتركة بين التشريعات، والمُطابقة للنصوص القرآنيّة، والتي تتوافق مع العقل والمنطق السّليم، والمُصاحبةُ للمصلحة العامّة للبشريّة.

والخُلاصةُ الجليّةُ التي نتوصّل اليها، والتي لا يَشوبُها شَكٌّ، ويتفق عليها جميع العُقلاء، أنَّ وحدةَ الأصلِ الإنساني لا ينفكُّ عن وحدةِ الأصل الديني، كِلٌ منهما يُكمّل الآخر، وأنَّ العَقل النوعي شاهدٌ على تلكَ المُلازمة، لِوحدةِ المصلحة الأُخرويّة والدنيويّة معاً. وأنّ الأصلَ العقلي في موازاة الأصل الشرعي، لا يتقاطعان ولا يتعارضان، وإنّما يتعاضدان في التحكيمِ والكشف عن الأصول المُشتركة والطاقات الخيّرة في الإنسان، وإظهار المعادن الكامنة في عُمق الإنسان، والوصول الى الحقّ والحقيقة المُطلقة. كما أنَّ التجربةَ هي البرهان الواقعي القطعي، على حاجة المُجتمع الى الوحدة الحقيقيّةِ، المُتمثلةُ بالمُشتركات الدينيّة والخلقيّة، التي كشفَ عنها الواقع المَرير عِبر التاريخ، حروب وهتك حُرُمات ومُقدرات، وكأنَّ الأصل الأوّل في عِلاقة الإنسان بالإنسان، العداوة والإقتتال، وليس السّلم والتعايش، وهذا ما يرفضهُ الله تعالى والعقل السّليم والفطرة الأولى، وختمها بالإسلام والقرآنِ، لصيانةِ الدّين والفطرة والإنسانيّة بِأروع صورها وتمامها وكمالِها.

[1]ـ الصدوق(381)هـ، التوحيد، تحقيق هاشم الحسيني، جماعة المدرسين قم،ط1، 1398هـ،ص270.

م. د عواد قاسم الماجدي/ جامعة بغداد/ كليّة العلوم الاسلامية/قسم الأديان المقارنة

مُـقـدِّمـةٌ

الحقيقةُ المُشتركة بين الأديان التوحيديّة، ذاتُ أبعاد وجذور إنسانيّة على مُستوى العقلِ والدّين، كلاهُما كاشفٌ عن الحقيقة المشتركة في أصل الخلقِ والتشريع، ففي الوقت الّذي يُصرّح القرآن المجيد(**قُل يَا أَهلَ الكِتابِ تَعَالَوا الى كلمةٍ سواءٍ بَينَنَا وَبَينَكُم أَلَّا نَعبُدَ إلّا الله وَلَا نُشرِكَ بِهِ شَيئا) ال عمران 64.** للدلالة والكشفِ عن المُراد الديني والتشريعي، كذلك يكشف المُراد العقلي والضروي لوجود الله تعالى في حياة الإنسان ومصيره الأخُروي، قال تعالى{ **لَو كانَ فِيهِما آلِهةٌ إلّا اللهُ لَفَسَدَتا} الانبياء22.** الدالُّ على إمتناع إلهين عقلاً، وانَّ الله تعالى مُتكفّل في حِفظ الدّين وإقامة الحجّة على الناسِ كافّة، تحت ضابطة الإيمان بالله الواحد الأحد، قال تعالى { **قُولُوا ءامنَّا باللهِ وَمَآ أُنزِلَ إلَينا وَمَآ أُنزِلَ إلى إبرَاهيمَ وَإسمَاعِيلَ وإسحَاقَ وَيَعقُوبَ والأسباطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسى وَمَآ أُوتِيَ النبيّونَ مِن رَّبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحدٍ مِنهُم وَنَحنُ لهُ مُسلمونَ} البقرة136.** فإنَّ الإيمان بالله تعالى والتسليم لهُ، هو المعيار التقويمي الإعلى لله تعالى في عِباده، وأنَّ الغايةَ مِن إنزال الكُتب السماويّة وبعثة الأنبياء هو تحقيق العدالةالشاملة للفرد والمجتمع.

ومن هنا كان لِزاماً على كُلّ مُثقّفٍ أو مُتديّنٍ أن يُضهر ويُبرّز أسرار الخَلقِ والتشريع، فيما يتعلّق بعموم الإنسان، ومدى سِعة رحمة الله تعالى في مخلوقاته جميعاً، ونشر المُشتركات بين بني البشر، الموحدين وغير الموحدين،، قال تعالى { **وَرَحمتي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ فَسَأكتُبُها للّذينَ يتّقُون} الأعراف156.** فإنَّ سِعة الرحمة تشمل المؤمن والكافر والجماد والنبات والحيوان، وتشمل كُلّ ما في هذا الكون، بحسبِ إطلاق(وسِعت كل شيء)، وخصوصا المؤمنين منهُم، إذ قال تعالى{ **بالمؤمنين رؤف رحيم} التوبة128.** ولم تنحصر الرحمة الإلهيّة بالسؤال، وإنّما تشمل مَن سأل ومَن لم يسأل، حتى وردَ في دعاءِ شهر رجب المروي عن الإمام الصادق(عليه السّلام): **(يا مِن يعطي مَن سألَهُ يا مَن يعطي مِن لم يسأله ومِن لم يعرفهُ تحنناً منهُ ورحمة).** فإنَّ الرحمة الإلهيّة فيضٌ مُشتركٌ وشاملٌ للجميع. ومِن سِعة رحمة الله تعالى في خَلقه العدل والتوحيد، اللذان لا يختلف عليهما أحد مِن الأديان التوحيدية، وإن إختلفوا في الصِفات والمفهوم، إلّا أن الذات المُقدسة محفوظة لدى جميع الأديان التوحيديّة.

ومِن ذلكَ نفهم، أن الروابط والمشتركات الإنسانيّة والفطرَويّة لا تنفك عن الدين الواحد والإله الواحد. فأنَّ التوحيد ثابتٌ لدى جميع الشرائع السماوية، بموجبِ النصوصِ الدينيّة الأصيلة الواردة في القرآن والتوراة والإنجيل، بل كذلكَ ثابتٌ في الشرائعِ المُحرّفة، بالرغمِ مِن حجم التحريف، إلّا أنَ النصوص التوحيديّة موجودة في طيّات أسفار العهد القديم والجديد مِن الكتابِ المُقدّس المُتداولة لدى اليهود والنصارى، فإنَّ الله تعالى بموجب رحمته وعدله، يتدخّل في حفظ الأُصول والجذور التوحيديّة والعدليّة المُشتركة بين التشريعات، مهما كان حجم ذلك التحريف، لِأنَّ نظرة الله تعالى التشريعيّة الى الكونِ واحدة، وإنَّ الخالق الحكيم لا يمكن أن يقطعَ سُبل الخير عن مخلوقاته، لكونهِ لطيفاً ورؤفاً بهم، فلا يقطع رحمته مهما كان عِنادهُم وطغيانهُم، فإنَّ سِعة رحمة الله تعالى موجودة، لو أراد العبد الرجوع الى الله تعالى.

ونعتقد أنَّ التمسّك بنظريّة الحُسن والقُبح العقليين، توصل الى النتائج الصحيحة المطابقة لِإرادة الله تعالى في الخلق، والمؤيدةُ لِحسن التوحيدِ والعَدل المُشترك بين جميع الشرائع والشعوب، فإنَّ العقل والعُقلاء يُدركان حُسن العدل وضرورته، حتى قبل أن يقل بهِ الشرع، لِكونِ حسن ذاتًا، وكذلك حسن التوحيد الإلهي، فالجميع يُدرك أهميّة التوحيد والعدل في الحياة الدنيا والآخرة، وأنّ العدل لا ينسلخ عن الإله الواحد، وإن العقلَ يوصلنا الى لزوم العدل والمُساوات بين الخلق لِعموم المصلحة، وكُلُّ ما هو حَسنٌ في ذاتهِ مطلوبٌ لدى الجميع ويسعى الى تحقيقه.

ونحنُ في هذا البحث، سوف نتناول الأصل العقلي والطبعي و الديني المُشترك بين البشر، لكي نُدرك أن المُشتركات أكثر وأقوى مِن المُفترقات، وما يوحّدنا أكثر ممّا يُفرقنا، وأنَّ الأصل في علاقة الإنسان بالإنسان، الألفة والمودّة وليس الفرقة والنفور، وبذلك ينبغي أن تنعكس هذه النظريّة والرؤية الكونيّة على واقعِ البشر، وتكون هي الثقافة السائدة لدى المُتدينين مِن جميع الشرائع التوحيديّة، ولا يلتبس عليهم الأمر بفعلِ المفاهيم المغلوطةِ، أو السياسات العدوانيّة التي تبنتها الأنظمة الوضعيّة الفاسدة، التي تعتاش على التفرقة وزرع الفِتن، بين أهل التشريع والتوحيد.

المبحثُ الأوّل: الأصولُ العقليّة والإنسانيّة المُشترك بين البشر

لِكُلّ شيءٍ حادثٍ أصلٌ وجذرٌ، لا ينفك عنه، لوجودِ نوعٍ مِن العلاقةِ والسببيّة بينهما، ومِن بينِ تلك الأشياءِ الحادثة الشرائع السماويّة ـ اليهوديّة والنصرنيّة والإسلاميّة ـ، التي ترتبط بالله تعالى إرتباط الموجد الخالق بالمخلوق مِن العَدم، وإنَّ الحقَّ والحقيقةَ لا تقبل الشكَّ، فإنَّ الله تعالى موجد الكون بِرُمّته، وهو أصلُ الأُصول، ومُنزل الشرائع والرُسل، مهما كانت التسميات التي أُطلقت عليه في كُتبِ الشرائع والأديان والفلسفة، الصحيحةُ والمُحرّفة(الله، يهوه، إلوهيم، الرَبّ، السيّد، الإقنوم، واجب الوجود، العِلّة الأولى...)، جميعها لا تُغيّر مِن الواقعِ شيئا، وكما يُقال مِن أشكل المُشكلات تعريف الواضحات، فإنَّ الحقَّ المُطلق والمُفيض للوجود والمُوجد مِن العدم وخالق الأكون واحدٌ، جَلَّ ثناءه وتقدّست أسماءهُ، فالحقيقةُ الحقّة لا تتبدّل ولا تتغيّر، لِشدّةِ وجوده ووضوحه والحاجة اليه.

المطلب الأوّل: الأصلُ العقلي المُشترك بينَ الأديان التوحيديّة

عُرّف الدين مضمونا، بِأنّهُ مظهر الإرادة التشريعية للباري تعالى، ويتضمّن الرؤية الكونية عن الإنسان ومبدئه ومعاده، وكيفيّة سلوكه في الحياة، المنسوب الى خالق الكون الحكيم، والنازلة عن طريق الوحي السماوي، النازل على رُسلهِ وأنبيائهِ، والمُدوّنة في الكتب السماوية المُقدسة، والغايةُ منها تحقيق العدالة الشاملة، وإعطاء كُلّ ذي حقٍّ حقّه، أي ما يستحقّه من الكمال[2]. ولا شَكَّ أنَّ العدل ـ بموجب العقل ـ هو المعيار الوحيد لِحسنِ الأفعال، وأنَّ تحقيق العدالة الفرديّة والإجتماعيّة، تكمُن في إعطاءِ الإنسانُ حقَّ الإله المُنعِم، مِن العِبادة والطاعة والشكر، ويعطي الناسَ حقوقَهُم الواقعيّة، ويعطي نفسهُ حقّها الطبيعي مِن الحياة، وهذا هو عين تكامل الإنسان والبشريّة جمعاء، بالإختيار والإرادة لا بالجبر[3]. وذلكَ لا يكون إلّا بتفعيل العقل ومُدركاته بإستقلالٍ تامٍ للوصول الى الحقائق.

ويستقل العقل في نفسهِ لمعرفةِ كُليّات القِيم والأخلاق، لِما أُعطي مِن مساحةِ عملٍ لملئ الفراغ المعرفي والكشف عن الحقائق، إذ جعلهُ الله تعالى حُجّةً في مقامِ الكشفِ والعمل، والضابط في الإثابة والعِقاب، قال الإمام جعفر الصادق(عليه السّلام): **(لمّا خلق الله العقل قال لهُ إقبل فأقبل، ثم قال لهُ أدبر فأدبَر، قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحبُ إلي مِنك، بِكَ آخذ، وبِكَ أعطي، وبِكَ أُثيب ...ثُمَّ جعل للعقلِ خمسةً وسبعينَ جُندا)**[4]. أي قد حصّن اللهُ العقلَ بخمسٍ وسبعين مِن الجنودِ الفاضلة والخيّرة، وجعلها تحت تصرفه، كُلّ ذلكَ للدلالة على عظمة العَقل وضروريته في توجيه مَسار الإنسان، وأنَّ سَلب العقل عن الإنسان يعني سَلب التكليف الشرعي عنه. كُلّ ذلكَ لِكي يُنعم بهِ الإنسان ويُكرمه**{لَقَد خَلَقنَا الإنسَانَ في أحسَنِ تَقوِيم}** التين ـ4ـ .

وهذا الأصل العقلي، يشترك بهِ جميع البشر وجميع التشريعات، بِنسبٍ مُتفاوتة، حسب المؤهلات والإستعدادات الذهنيّة والنفسيّة، بالرغمِ مِن أنّهُ ليسَ من سِنخ المادّيات، وإنّما مِن سِنخ المجردات الروحانيّة، بِخلافِ أصل الخلقةِ وسنخيتِها، التي يشترك بِها جميع البشر، سِنخاً وأصلاً. والى هذا أشار أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) لِعاملهِ على مِصر مالك الأشتر، ليوصيه بالرحمة والشفقة على جميع الرعيّة: **(الناسُ صِنفانِ إمّا أَخٌ لَكَ في الدّين، وإمّا نظيرٌ لَكَ في الخَلق،،،فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تُحب أن يُعطيك الله مِن عفوه وصفحه، فإنّك فوقهُم ووليِ الأمر عليكَ فوقك، والله فوق مَن ولاك)**[5]. فجعل الإمام (عليه السّلام) تقسيما عقليّا، في عِلاقة الإنسان بالإنسان، مُنحصرا بين الدّين والخَلق، والعقلُ مُدركٌ لهذا الحصر بِأدنى تأمّل، وأنّ الرحمة والشفقة التي يوصي بِها، تشمل كِلا القسمين، لِكونِها مسؤولية الإنسان بِما هو إنسان، مسؤولٌ شرعا وعقلا عن إقامة العَدل الإلهي واقعا، بلا فرقٍ بين شريعةٍ وشريعة، أو طائفةٍ وطائفة، أو قوميّةٍ وقوميّة، وإنّما تكفي الإنسانيّة معيارا للرحمة. وقد أجاد المفكّر المسيحي جورج جرداق بِقوله: ليس مِن أساس بوثيقةِ حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأُمم المُتحدة، إلّا وتجد لها مَثيلا في دستور علي إبن أبي طالب،ثُمَّ تجد في دستورهِ ما يَعلو ويَزيد[6].

---

[2]ـ أيمن المصري،نهاية حلم، مطبعة زلال الكوثر، كربلاء، ط1، 2022، ص79.

[3]ـ المصدر نفسه، ص215.

[4]ـ المجلسي، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1403هـ، ج1، ص97. الكليني، الكافي،ج1،ص27.

[5]ـ نهج البلاغة، خطب الامام علي (ع)،تح فارس تبريزيان،مؤسسة دار الهجرة،مط السرور، ط3 ، 1425هـ ق، ص547.

[6]ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، مط ليلى بيروت،ط1، 1426هـ،ج1، ص7.

وقد يسأل سائلٌ: لِماذا قدمنا في بحثنا هذا، الأصل المُشترك العقلي بين الأديان، ولم نقدّم الأصل المُشترك الديني، مع أنّ المُراد الإلهي أولًا وبالذاتِ هو الإمتثال الديني، بينما المُراد العقلي مطلوب ثانيا وبالعرض كواسطة للوصول؟.

نقول: هذا صحيح، ولكنّ الشارع المُقدّس أرادَ التعرّف على أحكام ومفاهيم الدّين بواسطة العقل، والتحقيق من صدق التشريع والأحكام، لكي يكون الإمتثال عن إدراك وعِلم، ويكون مُطابق للواقع المُراد، ولِذا قُدّم الأصل العقلي في مقام البحث والبرهان.

ومِنَ الشواهد على ضرورة توسّط العقل ومُدركاته في فهم الدّين والعمل بهِ، ما قامَ بهِ الإمام علي الهادي(عليه السلام) حينما قدّم الحجّة العقليّة على الحجّة النقليّة، وذلكَ حينما سأله إبن السّكيت: ما الحجّة على الخلق اليوم؟ قال(عليه السلام): **(العقلُ يُعرف بهِ الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه)**، فقال إبن السكيت: هذا والله هو الجواب[7]. مع أنّ الإمام (عليه السلام) هو الإمام والحُجّة بالنصِّ النقلي المُتواتر، لكنّهُ لم يَقل أنّهُ الحُجّة في مقام البرهان، لِأنّهُ يعلم أنَّ ابن السّكيت سوف يُطالبهُ بالدليل، إن قال لهُ بِأنّهُ الحجّة، لِذا قال الإمام أنّ الحجّة الأولى الأصليّة هو العقلُ، وبالعقلِ نعرف الحجّة الثانيّة المُتمثلةُ بالإمامِ(عليه السّلام)، وبذلك نُدرك أنَّ الإمام أرادَ الإشارة الى ضرورة اللجوء الى العقلِ والتفكّر، في كيفيّة الوصول الى معرفة العَقائد الحقّة، مِن التوحيد والعَدل والنبوّة والإمامة، ولا نكتفي بالنقل في مقام البرهان والإستدلال.

وقال الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)**: (إنَّ أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها، التي لا ينتفع شيءٌ إلّا به العقل، الّذي جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهُم وأنّهُم مخلوقون، وأنّهُ المُدبّر لهم وأنّهُم المُدبّرون،،،)**[8]. إذا لا مناص مِن تقديم العقل في مقام الإستدلال والبرهان، المُلزم للإنسان عموما ـ يهودي أو نصراني أو مُسلم ـ في معرفة الدّين والشريعة، فالعقلُ حُجّةٌ على الجميع دون إستثناء، حتى قبل نزول الشرائع، وهو حاكمٌ ومُرشدٌ وكاشفٌ عن الحقيقة، بل هو الوسيلة الوحيدة في معرفة الصواب مِن الخطأ، ولا مناص لنا إلّا بالتمسّك.

ومِن هنا كان العقلُ حجّةً على اليهودي والنصراني والمُسلم على حدٍّ سواء، وهو المُنقذ لهُم مِن المهالك الدنيويّة والأخرويّة، ولم يخلق الله تعالى وسيلةً أُخرى، شاهدة ومُوصلة للمعرفة الحقّة والعِلم اليقيني والقطعي، في مقام البرهان المنطقي والإستدلال سُوى العَقل، وهو الشاهد على جميع التشريعات، والكاشف عن التحريف والتزييف الّذي قد يكتنف التشريعات، لِأسبابٍ شتّى.

مساحةُ العقل ومساحةُ الشّرع:

يشتركُ الدّين والعقل في تقديم المصلحة العامّة للإنسان، وقد يتصوّر البعض أنّ العمل بنتائج العقل قد يتعارض مع نتائج ومفاهيم الشّرع، ولكنَّ الواقع غير صحيح، إذ أنَّ المساحةَ التي يعمل بِها العقل، تختلف عن المساحة التي يعمل بِها الشّرع، فلا يوجد بينهما تقاطع ، وأنّ لِكلٍّ منهما مساحتهُ وإستقلالهُ في العملِ والكشف عن الحقائق، فإنَّ المفاهيم الدّينيّة مثل الجنّة والنار والملائكة وغيرها مِن الحقائق والمفاهيم التعبديّة، لا يستطيع العقل الكشف عنها والإستدلال على وجودها، لكونها مفاهيم خارجة عن مساحتهِ وطبيعة عمله ومجاله، وإنّما مساحة عملهُ تكمُن في الإستدلالات المنطقيّة والبراهين العقليّة والمنطقيّة القطعيّة، التي لا تقبل الشّكَّ، مِن قبيل إستحالة إجتماع النقيضين، وإستحالة كون الجزء أكبر مِن الكُلّ، وغير ذلك من القطعيّات العقليّة والمنطقيّة، إلّا أنّ أحكام العقل لا تتقاطع مع أحكام الشرّع، وإن إختلفت مساحة العمل وطبيعة المسائل بينهما، فلا نستطع أن نقول أنّ العقل يتقاطع كُليّا مع مفاهيم الشريعة، بل لا يستطيع الشّرع نفي الأحكام القطعيّة للعقل، كما في مسالة إستحالة إجتماع النقيضين مثلا، ولِنفسِ المَلاك، وهو إختلاف المساحة التي يعمل بِها كُلٌّ مِن العقل والشرع. أمّا ما قيل مِن وجود تقاطع للدّين مع مفاهيم وأحكام عقليّة، فهي في الواقع ليست عقليّةً وإنّما عُقلائيّة عُرفيّة، إلّا أن العرف يطلق عليها أنها عقليّة تجوزاً.

وكما نستفيد من الإحكام العقليّة البرهانُة على عدم بطلان المفاهيم الدّينيّة، من ناحية الإستحالة والتناقض وغيرها، فيما إذا إستُثمر بصورةٍ منطقية، كذلك نستفيد من الشّرع في الكثير مِن نصوصهِ، تاييدهُ للعقلِ وشاهدٌ على أهميتهِ، في الوصول الى الكمال والسعادة الدنيوية والأُخرويّة، وأنّهُ لا دين مِن لا عقل له.

---

[7]ـ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، مؤسسة النشر الاسلامي، قم،ط2، 1404هـ،ص450.

[8]ـ الكليني، الكافي، محمد بن يعقوب، منشورات الفجر بيروت، ط1، 2007م، ج1، ص29 .

والثمرةُ مِن هذا المسألةِ، بيان أنَّ العقلَ أصلٌ مُقدّسٌ خيّرٌ، وجَذرٌ مُحكم، وحاكمٌ على الإنسان الديني، بِما لهُ مِن كاشفيّة عن الحقيقة، وموصل للقطعِ والعالِمِ في كثيرٍ من المسائل، والّذي يترتّب على نتائجه المُحركيّة والباعثيّة نحو التكليف والإمتثال الشرعي والعقلائي والوجداني، وبذلك يكون العقلُ أصلٌ وحجّةٌ على جميع الأديان، وعنصرٌ مُشتركٌ بين تلك التشريعات، وأنَّ ما يُثبتهُ العقل يكون مُلزما على جميع الأديان، فالعقلُ مَصدرُ خيرٍ ورحمةٍ للعالمين، وهو مِن نِعم الله تعالى الخاصّةُ على البشر، ليهديهُم مِن الظلمات الى النور، قال تعالى: **{وَلَلدَّارُ الآخِرَةِ خَيرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوا أَفَلَا تَعقِلُونَ}** يوسف109. وقال تعالى**{كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلون}** البقرة242. وغير لك من الآيات الكثيرة التي تدلُّ على أهمية دور العقل في توحيد البشريّة بشرائِعها وأجناسِها، وضرورة التفكّر في المصالح العامّة للإنسان على مُستوى الدين والدنيا، مِن المبدءِ الى المُنتهى.

العقلُ أصلٌ مشتركٌ في الكَشفِ عن الخَلقِ والكون:

لِماذا تشترك جميع الأديان التوحيديّة والوضعيّة في الحاجةِ الى العقل، ولِماذا العقل حاكم على الجميع في مجال العملِ والإمتثال والسّلوك، ولِماذا تدعو جميع الأديان الى التفكّر والتأمّل، ولِماذا ترتبط كُتب التشريعات بالتكوين والخَلق، حتى نزل القرآن بقوله تعالى:**{اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسَنَ مِن عَلَق}**العَلق1ـ 2. وفي **سِفر التكوين** وهو أوّل أسفار التوراة مِن أسفار العهد القديم المُتداولة، تبتدء**(في البَدءِ خَلَقَ اللهُ السماوات والأرض)**تك 1:1. حتى مُلِيء القرآن المجيد بِعشراتِ الآيات الدّالة على التعقّل والتدبّر والتفكّر، لتحريك ذهن المُجتمعات التي خاطبها الله تعالى بالهداية نحو الصواب،**{أَفَلا تَعقِلون}** يوسف109، **{أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ}** مُحَمَّد24. **{نُفَصِّل الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرون}** يونس24.

وذلكَ أنَّ التعقّل والتفكّر في الخلق مِرآة لِمعرفة الحقّ، قال تعالى: **{إِنَّ في خَلقِ السَّمواتِ والأَرضِ وإختِلاف الليلِ والنّهار والفُلكِ الّتي تَجري في البَحر بِمَا يَنفعُ النّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ من السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فأحيا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها وبَثَّ فيها مِن كُلِّ دَابَّةٍ وتصريفِ الرِّياحِ والسَّحابِ المُسخّرِ بَينَ السّماء والأَرضِ لَآيَاتٍ لِقومٍ يَعقِلون}**البقرة164. فإنَّ العقلَ يُدرك قُدرة الله تعالى على الخَلقِ والإيجاد، وإختلاف الأفلاك وحركة الليل والنهار، ويُدرك ما ينفع الناس وما يُحيي الأرض، فالعَقلُ ينظر الى الكونِ والأديان نظرة تأمّل وتفكّر شاملة، للكَشفِ عمّا هو ممكن وما هو مُستحيل، وما هو نافع منفعة خاصّة أو عامّة للبشريّة، وما هو غير نافع، نظرةُ المُتأمّل في تحديد المصير المُشترك بين أبناء البشر جميعا، وبالخصوص اهل التوحيد والعَدل والإيمان برسالات السماء. وبِخلاف العقل وعكسه الجهل، الّذي هو مفهوم سَلبي، ليس فيه نتاج إيجابي، وإنّما يعكس الظلامَ والتشائم والحيرة لدى جميع البشر.

ولم تكُ نظرة العقلِ التعقّليّة والتأمليّة، مُنحصرةٌ بالشريعةِ الموسويّة، أو العيسويّة، أو المحمديّة، وإنّما نظرتهُ أوسع مِن ذلك بكثيرٍ، بَل أنّ مسائل هذه الشرائع والتحقيق مِن صدقِها ومُطابقتها للواقع، مُندرجةٌ تحت مساحة العَقل، وتقع تحت إنتدابهِ وإمضاءه، وأنَّ مرجع الخطأ والصوابِ في تلكَ التشريعات، يعود الى مُباركة وتصديق العقل، الّذي خلقهُ الله تعالى لِيكون حُجّةً على الإنسان الديني في مَقام العمل والإمتثال.

إذا مِن هذه الناحيةِ، تكون جذور وأُصول التشريعات الثلاث واحدة، والمصلحةُ واحدةٌ، والهدفُ واحدٌ، وهو تحقيق العدالة الإلهيّة، مِن خِلال إقامة العدالة الشاملة في الكون، بواسطة التأمّل العقلي، فالعقلُ يحكمُ بقبحِ الظُلم ذاتا، وحُسنِ العدل ذاتا، دون توسط الشّرع أو شيءٍ آخر، فالصّدق والعدلِ وحِسن الأخلاق وجميع الفضائل، حَسنةٌ في ذاتِها، ومطلوبةٌ في ميلِ وفطرةِ الإنسان ووجدانه، وكذلك الكذب والظلم والغشّ قبيحةٌ ذاتا، ومُنفّرة للإنسانِ عنها.

الميلُ الطّبعي الإجتماعي مِن مُدركات العقل النوعي:

يُدرك العقلُ أنَّ ميلَ الإنسان نحو نوعهِ وجِنسه، ممّا يقتضيه الطّبع البشري والمَيل النفسي، مع قطع النظر عن الدّين والمذهب، لّذا سُمّي الإنسان بـ (مَدني الطّبع)، لِكونه يميل الى النوع البشري، ويرفض الإنزواء والعيش المُنفرد، وهذا الميل في طبعهِ ، كاشفٌ عن الوحدة البشريّة التكامُليّة، التي دعا الله تعالى لها، وأودعها في الفِطرة، فتجد الإنسان ميّالا الى جنسه ونوعه، في العَيش والسّلوكِ والتاثّر، وهذا لا يُمكن أن يَنكرهُ إلّا مُكابر، فإنَّ وحدةَ النشأة والتركيب الفيسلوجي، يقتضي الميلَ والتأثّر ووحدة الطّبع، وبالنتيجة أنَّ الإنسان يدور حول نفسه في مسيرةٍ تكامُليّةٍ، مُنذُ النشأةِ حتى الممات، وهذا ما يؤيدهُ العقل في تتبّع مسيرة الإنسان وحركتهِ مطلقا، خصوصا حينما تشتد المُشتركان قوّةً وتماسكا، بواسطة الدّين أو المَذهب أو القوميّة، فيشتدّ المَيل والوَلاءِ والتعصّب، ويبتعد الإنسان عن الأصل والهدف مِن الخَلقِ والإيجاد والنشأة، ويفقد الكثير مِن المُشتركات، ويبتعد عن الهدف الرئيس مِن الخَلقِ، وتُضيّع المصالح الإنسانيّة العُليا، وتتوسّع دائرة الشِقاق

والفجوة، ولِذا دعا الله تعالى الى التفكّر والتعقّل في الخَلقِ، والغاية مِن الإيجاد، وأنَّ الحقيقة الدينيّة والإنسانيّة والفِطرويّة واحدة، فليس مِن المعقول التمسّك بِأسبابِ الخِلاف وترك أصول الوحدة.

ومِن هُنا أشار القرآنُ المجيد الى أهمّ المناشيء والغايات مِن إيجادِ الخَلق وتنوعه، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** الحجرات13. لِيُثبّت وحدة الخَلق ووحدة النّوع، ووحدة الغاية مِن التنوّع المَقصود في الشعوبِ والقبائل، وهو التعارف المُفضي الى التعاونِ وتبادل الخُبرات المُتنوعة لِإتمام مُقوّمات الحياة الضروريّة، وتلكَ هي الغاية الحقيقيّة في المنظور الديني، والتي هي غايات وأهداف، لا تتعارض ولا تتقاطع ومُدركات العقل والمنطق السّليم. بل إنَّ العقل المُجرّد، يُدرك إستحالةُ وجود كون مُنتظم ومُتناسق ومُتكامل، دون أهداف إنسانيّة شاملة وغايات سامية، سواء شخّصها العقل بتمامِها وكمالِها، إم لم يُشخصها، إلّا أنّهُ يُثبتها ويُقرّها علميّا ومنطقيّا، ولا يمكن لهُ نفيها، وذلكَ لِما تملكهُ النصوص الشرعيّة من موضوعيّة وواقعيّة ومصداقيّة.

المَطلبُ الثّاني: الأصلُ الإنساني في علاقة الإنسان بالإنسان

مَرَّ علينا في المطلبِ السابق، تقسيم الإمام علي(عليه السّلام)، لِعلاقة الإنسان بالإنسان، الى قسمين رئيسين، في قولهِ: **(الناسُ صِنفان إمّا أخٌ لكَ في الدّين، وإمّا نظيرٌ لكَ في الخَلق)**، وهذا النصُّ في وضوحهِ وبساطة كلماته، إختزل مفاهيما كثيرة، فهو قانون واقعي وموضوعي مُتكاملٌ، فالإنسانُ مَقسمٌ للدّين والخَلق، وأنَّ الإنسانيّة الحقيقيّة تنشطر مِن ناحية علاقة الإنسان بالإنسان، إمّا أن يرتبط معكَ في الدّين، وإمّا أن يرتبط معكَ في الخَلق والإنسانيّة، ولا مفرَّ الى شيءٍ ثالث، لِكي يُلزم الإمام(عليه السّلام) جميع الناس، ولِذا قال(الناس) ولم يقل المؤمنون أو المُسلمون، لِكي يكون الخِطابُ عامٌّ وشاملٌ لجميع البشر، وهو قانون إنساني مُحكمٌ، غير قابلٍ للنقضِ والتأويل.

ولا شكَّ أنَّ عُلقة الخَلقِ والإيجادِ مُقدَّمةٌ على عُلقة الدّين، مِن حيث الترتيب الزماني، مع ما قيل مِن تزامن الإيجاد مع الدّين، دون تقدّم أحدهُما على الآخر، وأنّهُ لا يوجد إنسان أو قوم، إلّا وكان لهُم دين، وإنَّ الدّين مواكب ومُلازم للإنسان الأوّل، كما في آدم(عليه السّلام)، إلّا أنَّ عُلقة الخَلقِ والإيجاد، أوسع وأشمل مِن عُلقة الدّين لِكونها تشمل مَن يعتنق دينا، ومَن لم يعتنق، إذا الإنسانيّةَ مِن ذاتيات الخَلقِ والإيجاد، ومِن هذه الناحية تكون الإنسانية أصلٌ جامعٌ، يُمكن الإتكاء عليه في تأسيس مبدء التعايش السّلمي الإيجابي.

العقلُ معيارُ الثوابِ والحِساب في الشرائع السماويّة

كما أنّ العقلَ المصدر الأوّل والمِعيار الأكمل والأتم، في قبول السلوكيات والأخلاقيات والمُعاملات الدنيويّة، كذلك هو معيارٌ في قبول العِبادات والمعاملات المفاهيم الدينيّة، فالعَقلُ وجهٌ آخر للعدل الإلهي مِن ناحية الكشف والتحقيق والإستحقاق، وأنَّ العقلَ قانون عام يسري على جميع الشرائع السماوية، وكذلك يسري في الشرائع والقوانين الوضعيّة، فيما إذا سخّروه بموضوعيّة ومصداقيّة تامّة، ومن خلال العقل ومدركاته، نعرف حجم المُشتركات بين الشرائع السماويّة، والغاية من نزولِها وحجم المُفترَقات، كُلُّ ذلكَ بِفضل الكشف العقل، ونستطيع القول أنَّ جميع الحواريات والمؤتمرات التقريبيّة التي تجريها الأديان، مِن الزاويةِ الحواريّة النظريّة المبنيّة على المنطق العقلي، تنتج التوافق والقبول والتسليم النظري، بين فرقاء الأديان والمذاهب، لِكون نتائج العقل والبرهان المنطقي المُستند الى العدل الشامل، مقبول لدى العقلاء وذوي الألباب، بموجب تحكيم العقل العدلي العام، إلّا أنّ المُشكلة في تطبيق تلك المُشتركات بِصدقٍ وموضوعيّةٍ تامّةٍ على أرضِ الواقع.

فلا نجد شريعة من الشرائع السماويّة، تنكر وجود الإله الواحد الواجد للكون والحياة، بحسب ما تحتويه كتبهُم من النصوص الدّالة على الإله الخالق، مع قطع النظر عن التفاصيل والصفات، التي قد تتقاطع مع أحكام العقل القطعيّة، إلّا أنَّ الذات الإلهيّة المُقدّسة محفوظة لدى الجميع، خصوصا ما يتعلّق بالخالقيّة والربوبيّة والتوحيد، وهذا مُتحقق لدى الجميع، قال تعالى: **{قُل يَا أَهلَ الكِتابِ تَعالَوا الى كَلِمةٍ سَواءٍ بيْنَنا وبينَكُم أَلّا نَعبدَ إلّا اللهَ ولاَ نُشرِكَ بِهِ شيئا ولا يتَّخِذَ بَعضنا بَعضا أَربَابَا مِن دونِ الله}** ال عمران64. فلو لم يكن الإيمان والإقرار بتوحيد الله تعالى موجودٌ في الشرائع الأُخرى، لَما دعاهُم القرآن المجيد الى كَلِمة(السَواء)، كَلمة العَدل التي يؤيدها العقل، ويتّفق الجميع عليها، بِحكمِ العقلِ، ودعا الله تعالى الى تحكيم العقل في المسائل التي تخضع الى قوانين العقل وتدور في ساحته. وهكذا في قوله تعالى**{لَو كَانَ فيهِما آلهةٌ إلّا الله لَفَسَدَتا}** الانبياء22. يحوّل مسألة قبول الإلهين الى تحكيم العقل، فإنَّ العقل مِن خِلالِ إستدلالته وعملياتهِ الذّهنيّة يقطع

بفسادِ هذا القول، ولا ثمرةَ منهُ، لِأنَّ الإلهين إن كان أحدهما أكمل وأصلح من الآخر، وجب إتّباع الأكمل، وترك الآخر، وإن كانا بِنفس المُستوى من الكمال، فلا ثمرة من فرض إلهين بنفس المُستوى من الكمال، وأنّهُ مُجرّد تحصيل حاصل لا فائدة منه، وهكذا يظهر فساد نظريّة وجود الاهين مِن خلال الإستدلال العقلي والمنطقي.

ومِن هُنا نقول بِكفاية تحكيم العقل واِتّباعهِ في تحقيق التعايش السّلمي بين الأديان والمذاهب، والوصول الى الحقيقة المُشتركة بين التشريعات، وتحقيق المصالح العامّة للبشريّة جمعاء، ولا نجعل الوحدة الدّينيّة مُلقّة على جُزئيات وتفاصيل مُحددة، قد يستفيد مِنها العدو، أكثر مِمّا يستفيد منهُ المُوحّد، ونحن ننظر الى حجم العدوان والطغيان الّذي يستهدف الأديان السماويّة، ويعبث بقيمها ومُقدّساتها، ونحن كمؤمنين ننظر الى القشور المُفرّقة، ونغمض العَين عن لُبّ الشريعة وعدلها ووحدتها ومصالِحها العُليا.

ولِذا صرّح القُرآنُ المجيد وسُنّة وأحاديث أئمّة أهل البيت(عليهم السّلام)، بِعدم صحّة وصف الإنسان بالكُفرِ واِستحقاق العذاب، لِمُجرّد أنّهُ لا يعلم بحقيقة الله تعالى وصفاته، أو ضعيف الإدراك العقلي، ولا يستطيع فهم الحقيقة الإلهيّة والنبويّة، أو أساسا لم يصلهُ شيئا مِن التشريع والتبليغ، أو كان مُستضعفا فكريّا وعقليّا، وإنّما الكافر الّذي يُحاسَب مِن كان جاحداً مُعاندا ومُنكرا للحقّ والحقيقة، ويكون التقابل بينَ الكُفرِ والإيمان تقابل التضاد، أي لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، ولكن يمكن أن يرتفعان، فيكون الإنسان لا مؤمنا ولا كافرا، قال تعالى:**{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}** النساء96ـ98. فقد أشارة جُملة مِن الروايات تفسير(المُستضعفين)، بِأنّهُم غيرَ مؤمنين وغيرَ كافرين، وإنّما أمرٌ بين أمرين، فعن حَمّاد بن الطَبيَان، قال: سألتُ **أبي جعفر الباقر(عليه السلام)**، عن المُستضعفين؟ فقالَ: **(هوَ الّذي لَا يَستَطيعُ حِلَةَ الكُفرِ فَيَكفُرَ، وِلَا يَهتَدي سَبيلا إلىَ الايمان، لَا يستَطيعُ أن يُؤمِن، وَلَا يَستَطيعُ أن يَكفُرَ، فَهُمُ الّبيانُ وَمَن كانَ مِنَ الرّجالِ وَالنساءِ عَلَى مِثلِ عُقُولِ الصّبيانِ،مَن رُفِعَ عَنهُ القَلَمَ)**[9].

قال المجلسي: (على تاويلهِ ـ عليه السّلام ـ، لا يستطيعونَ حيلة الى الكُفر، أي لا يقدرون على إلقاء الشبه القّويّة في الكُفر، ولا على الرسوخ فيه الى الإيمان، أي لِبلهتِهم وقلّة عقلهُم ومعرفتهم، لا يستولون على معرفة الحقّ والثبات فيه، فهُم في ذلكِ عذرٌ أن يعفو الله عنهم،،،والحاصل أنّهُم لِضعف عقولهم وقلّة فطنتهم، لم لم تعرض لهُم شبهةٌ قويّةٌ فيستقرّوا في الكفر والجحود، ولا داعٍ قويٌ من الأغراض الدنيويّة، فجحدوا الحقَّ لذلك، واِحتالوا في إبطال الدّين وبراهين الأنبياء، بِإلقاء الشّكوك والشبه، وليس لهُم قدرةٌ على فهم الحق ودلائله في الدين، عفُهم لذلك معذورون في الجملة، ويحتمل نجاتهُم لذلك)[10].

وَعن **أبي عبدالله الصادق(عليه السّلام)**في تفسير الآية: **(لا يستطيعونَ حِلَةً الى النَصبِ فيَنصبُونَ، وَلَا يَهتَدونَ سَبيل الحقّ، فَيَدخُلَنَ فيه، وهؤلاء يدخلون الجنّةَ بِأعمالِ حسنةٍ، وبِاجتنابِ المَحَارمِ التي نَهَى الله تعالى عنها، وَلَا يَنالونَ مَنَازِلَ الأبرارِ)**[11].

وعن سليمان بن خالد عن الإمام **الباقر(عليه السلام)**، قَالَ سألته عن المُستضعفين؟ فقال: **(البَلهَاءُ في خِدرِهَا والخَادِمة تقولُ لها: صلّي فتُصلّي، ولا تدري إلّا ما قُلتَ لها، والجَليبُ الّذي لا يدري إلّا ما قُلتَ له، والكَبيرُ الفَاني، والصَّبيُّ، والصَّغير، هؤلاء المُستضعفون، وأمّا رجلٌ شديدُ العُنُقِ، جَدِلٌ خَصِمٌ، يتولّى الشِراء والبَيعِ، لا تستطيع أن تغبنهُني شيءٍ، تقول: هذا مُستضعفٌ؟ لا، ولا كرامةً)**[12].

وعن عليّ بن سُويدٍ عن **أبي الحَسَن موسى(عليه السّلام)**، قال: سألتهُ عن الضُّعَفاءِ؟ فَكَتَب إلي: **(الضَّعيفُ مَن لَم تُرفَع إليه حُجّةٌ، وَلَم يَعرِفِ الإختِلافَ، فإذا عَرَفَ الإختلافَ فليسَ بِمُستَضعَفٍ)**[13]. وقال **الصادق(عليه السّلام): (لو أنَّ العِباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا)**[14].

---

[9]ـ الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج2، ص404، م.س.

[10]ـ المجلسي، محمد باقر، مراة العقول، تحقيق هاشم رسولي،دارالكتب الاسلامية طهران،ط2، 1404هـ، ج11، ص104.

[11]ـ الصدوق، محمد بن علي، معاني الاخبار،تحقيق علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي،قم، ط1، 1403هـ، ص201.

[12]ـ المصدر نفسه، ص203.

[13]ـ الكليني، اصول الكافي، ج2، ص406، م. س.

وقد طَرح الشهيد **مرتضى المطهّري** سؤالا وأجاب عنه: " أيكون فقدان الإعتقاد بإصول الدين، تحت أي ظرفٍ موجبا للعذاب الإلهي؟ وأجاب عنه: أنّهُ لا شكَّ أنَّ الكُفر على شَكلَين، كُفر عِناد وجحود، وكُفر جهالة وعدم معرفة بالحقيقة، والأوّل موجبا للكفر بِأدلة النقل والعقل القطعيّة، وأمّا كفر الجهالة وعدم المعرفة، دون تقصير، فهي تقع موقع عفو رحمة الله تعالى[15]".

ويرى الدكتور مصطفى عزيزي:" أنَّ الأحاديث تدلُّ على أنّ الكُفرَ مقرونٌ بالجحود والعِناد للحقّ والحقيقة، فمن لم تصل اليه الحقيقة، لِأنّهُ كان ساكنا في مناطق نائية، أو وصلت اليه ولكنهُ مُستضعف فكري وعقلي، لا يقدِر على التمييز بين الحقّ والباطل، ولا يستطيع التفرقة بين الاختلافات العَقَدية والفكريّة، فلم يؤمن بالحقّ لجهلهِ أو لِقصوره عقله، فهو ليس بِكافرٍ، لِأنّ عدم إيمانه ليس نابعا عن الجحود والإنكار واللجاج"[16].

والنتيجة: أنّ هُناك الكثير ممّن إعتنق اليهوديّة والنصرانيّة والإسلاميّة، دون حُجّة مُعتبرة أو برهان نقلي مُحكم، أو قطع عقلي وعلمي، فهو لم يؤمن بالدليل وإنّما آمنّ جرياً مع الأهل أو البيئة أو قلّة المعرفة، وعلى هذا لا يصحُّ تكفير كُل طرف للطرفِ الآخر، ولا يؤاخذهُ الله تعالى إلّا بِمقدار عَقلهِ ومُستواه الذهني والفكري، كما في الجاهل والصّبي والأبله والمرأة التي لا تعلم شيئا، ومِثلهُم مَن لم يصلهُ شيئا عن الدّين والشريعة والمفاهيم الدينيّة، فيبقى المدار في تقييمه، هو عدل الله تعالى، ومِقدار مطابقة فعله وسِلوكه لِعَقله.

التوحيدُ العقلي بينَ الأديان التوحيديّة دعوةٌ إسلاميّة

تقدّم أهميّة ودور العقلِ في تشخيص وتحديد معاني الايمان والكفر، وتحديد مفهومهُ ومصاديقه، وأنَّ ليسَ كُلّ مَن جهل مفاهيم الدّين والعَقائدِ، يُوصَف بالكُفرِ ويستحق العَذاب، فلا ينبغي إرسال الطعون جُزافا، وأنَّ هذا مِن الجهلِ بِحقيقة الأمر والواقع، قال تعالى: **{وقالتِ اليهودُ ليستِ النصارى عَلَى شَيءٍ وَقَالَتِ النَّصارى ليَستِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ وهُم يَتلونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الّذينَ لَا يَعلَمُونَ مِثلَ قَولِهم} البقرة113.** فإنَّ الّذين لا يعلمون (قَالَ الّذينَ لا يعلمون مِثلَ قَولِهم) بِحقيقة الأمر، ردّدوا ما قالهُ أهل الكِتاب مِن التعصّب والتطرّف، مِن إطلاقِ الطعونِ والإتّهاماتِ المُتبادلة، مع أنّهُم لا يعلمون الحقيقة، ولا علاقة لهُم بالأمر، غايةُ الأمر أنَّ الجُهلاء إتّبعوا قول اليهود والنصارى في الأقوال والطعون المُتبادلة، ولَم يُحكّموا عقولَهُم، فوقعوا في الفِتنة، وهذا يدلُّ على مسؤوليّة الكَلِمة وأثرُها السَلبي في المُجتمع الدّيني، فضلا عن غيره. ونتيجةُ تِلكَ الطعون والعُدوانيّة بين اليهود والنصارى، وعدم تحكيم العقل والمنطق الوسطي الإعتدالي، الدِّماء وقتل الأنبياء وإزهاق الأرواح البريئة وزرع العداوة والبغضاء، وإنعكاساته على واقعِ الموحّدين والمؤمنين بالله تعالى.

كُلُّ ذلكَ كَشف عنهُ القرآن المجيد، لِأخذ العِبرة والحذر مِن صنعِ العداوة والبغضاء، لِمجرّد الإختلاف في الدّين والعَقيدة والمذهب، فإنَّ هذا مُخالفٌ لِدعوة القرآن وهدف الله تعالى مِن التشريع، مع أن الجميع تحت راية الإله الوحد، وهو الله تعالى، الّذي أرسل التشريعات والرُسل للهداية والصلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، قال **الإمام علي بن موسى الرضا**(عليه السّلام): **(التوراة والإنجيل والزبور كُلُّهَا مَربُوبَةٌ احدَثَهَا مَن لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ هُدى لِقومٍ يَعقِلون)**[17]. فإنَّ هدايةَ التوراة والإنجيل والزبور، يتوقّف على مقدار العَقل والتعقّل، فلا تنسجم دعوة الله تعالى للهدايةِ والصلاح، مع دعوة بعض التشريعات الى التفرقةِ والعُدوان بِسم الدّين، قال تعالى في ردِّ الدَعوات المُنكرة التوحيد والعدل، والغير مُستندة الى برهان عقلي، قال تعالى: **{وَمَن يَدعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ لَا بُرهانَ لَهُ بِهِ فَإنّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ إنّهُ لَا يُفلِحُ الكافرونَ} المؤمنون117.**، ويتحدّاهُم أن يُقيموا برهانا عقليّا مُحكما على وجودِ إلها آخرا، وهو مَن يتولّى حسابهُم على الشِّرك الصّريح، الّذي يُؤثّر سَلبا، ويخدش الفِطرةَ والحقيقة المُشتركة بين التشريعات التوحيديّة.

والتوحيدُ العَقلي الّذي يدعو اليه الإسلام بِقرآنهِ وسُنتهِ القوليّة والفعليّة، وليد العَدلِ الإلهي الشامل للبشريّة جمعاء، ومقرون بالمصلحة العامّة التي يُجدِدُها الخالق العظيم، والتي تكون موافقة للعَقل والعدل، ولِذا رفع الله تعالى التكليف عن المجنون والصّبي وغيرهم، ولم يُكلّف بِغير المقدور، لِأنّهُ مُخالفٌ للعَدلِ والحِكمةِ

---

[14]- المصدر نفسه، ج2، ص387.
[15]- العدل الإلهي، مرتضى المطهري، تحقيق عبدالمنعم الخاقاني، شبكة الفكر، ط2، 1401هـ، ص331.
[16]- ينظر: التعددية الدينيّة، مصطفى عزيزي، مطبعة عاشوراء، كربلاء، ط1، 2020م، ص164.
[17]- الاحتجاج على اهل اللجاج، الطبرسي احمد بن علي ت588هـ، تحقيق محمدباقر الخراسان،نشر المرتضى، ايران،ط1، 1403هـ، ج2، ص405.

والعقل، وخففَّ بِعدلهِ عن العُقول البسيطة مُراعاةً لهُمَ. ورفض القُرآنُ الدعاوى الهدّامة لِأصل التوحيد والعدل، التي تُخالف العَقل والفطرة، وتُفرّق شُركاء الدّين الواحد، عن الحقيقة المُشتركة بين الشرائع التوحيديّة، نصّاً وعقلا، وأرجَعَها القرآن المجيد الى ميزان الحِكمة والعَدل، قال تعالى: **{وما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبعَثَ رَسُلا}** الإسراء15، وهذا النصُّ القُرآني مقرونٌ بِتاييد العقل، وكاشِفٌ عن العَدلِ الإلهي، الّذي لا يَنفك عن الحِكمة والصواب بِحالٍ مِن الأحوال، فإنَّ العَقل يكشفُ عن إستحالة نزول العِقاب دون أن يكون هُناك أحكام وتعاليم سماويّة سابقة واصلة الى الإنسان، ومُبيّنة للمُراد الشرعي، مع وجود المُقتضي لَدى الإنسان، لِفهم تلكَ التعاليم، وهو القُدرة العقليّة المُدركة للتعاليم والتكاليف الشرعيّة، ولِذا ورَدَ عن **الإمام الصادق**(عليه السّلام) أنّهُ قال لهشام بن حكم: **(أنَّ لله على الناسِ حُجّتين، حُجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الحجّة الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة العقول)**[18]. فجعل الحُجّة على الناسِ جميعا، لا على شريعة معيّنة، ليكون الخِطابُ عاما للهداية، وقال (عليه السلام) يا هشام: **(**ثُمَّ ذمَّ الّذين لا يعقلون، فقال**{وإذا قِيل لهُم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما الفينا عليه آبائنا أو لو كان آباؤهُم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون}،)**[19]. وقال يا هشام**(إنَّ العقل مع العِلم،فقال{وتِلكَ الأمثال نضربها للناسِ وما يعقلها إلّا العالمون}العنكبوت43)**[20].

وهكذا يُركّز الإسلام على ضرورة تحريك العَقل، في مقام البحث والتحقيق، والوصول الى الحقيقةِ المُشتركة بين التشريعات، والكمال الجَمعي، وعدم الخوض مع الخائضين، الّذين تركوا العَقلَ والتعقّل وفسّروا المفاهيم الدّينيّة والعَقَديّة، بالتقليد والعاطفة الغير مُستند الى الدليل العقلي المنطقي، فحرّفوا الكثير مِن المفاهيم السماويّة، وتفرّقوا عن الوحدةِ الحقيقيّة التي أرادها الله تعالى مِن الخَلقِ والإيجاد.

لِماذا تنقسم الشرائع الموحّدة الى فِرقٍ ومذاهب: وهل مُقتضى الحِكمة والعَقل، أن تتفرّق الى طوائِف وفِرق، وتختلف في مفاهيم العَقيدة والدّين، فإنقسمت اليهوديّة الى أربعةِ فِرق رئيسة، وإنقسمت المسيحيّة الى إثني عشر فرقة، وإنقسم الإسلام الى خمسة فِرق رئيسة. بل حتى الديانات الوضعيّة إنقسمت الى فِرق، كالهندوسيّة إنقسمت الى أربعةِ فِرق، والبوذيّة الى ثلاثِ فِرق، والجينيّة الى ثلاثِ فِرق، وهكذا غيرها. ويعود سبب الإنقسامات غالبا الى موت الرسول، وعدم الحِفاظ أو تدوين ثوابت الشريعة وتعاليم الرسول، وطرو إجتهادات العلماء في النصوص، وتاثير السياسات والمصالح الفئويّة، وعدم سيادة العَقل الجمعي الديني.

وهُنا يُمكن القول: أنّ النصوصَ الدينيّة التي لم تُدوّن، يمكن أن تُحرّف أو تُؤوّل، خصوصا التعبُّديّة مِنها، بِخلافِ النصوص القرآنيّة والنبويّة، التي تحمل في طيّاتِها القواعد العَقليّة والمنطقيّة، التي لا تقبل التحريف والتأويل والتناقض والتضاد، لِسرعةِ إنكشاف الخَلل والتحريف، لِرفضِها مِن خِلال العَقل والمنطق، وعدم صمودِها أمامهُ، وكذلكَ الوجدان يقضي بِإستبعاد هذه النصوص عن الشريعة الإلهيّة، لِصعوبة نسبتها الى المنظومة الأخلاقيّة الدينيّة، الصادرة عن حكيم لطيفٍ في العِباد، جاء بالدّين والشرائع للهداية والصلاح والنجاة.

نستفيد: من هذه القُدرةِ العقليّة ومُدركاتها واللجوء اليها، التمييز والفَصل والكَشف عن الحقائق، وإثبات صحّة الكثير من النصوص المشكوكة، وبطلان الكثير مِن نصوصِ الشرائع المُتداولة، التي تتناقض وقواعد العقل والمنطق، أو التي تُسيء الى قداسة وطهارة الأنبياء والرسل، وغير ذلك من المفاهيم الدينيّة، والقَطع بِإستحالة صدورها مِن حكيمٍ عليم، وهذا الأمر ينفعنا اليوم كموحّدين، في تحقيق الوحدة المُشتركة بين التشريعات السماوية الموحّدة، مِن خِلالِ تحكيم العقل ومُدركاته في كيفيّة جمع الشمل الديني، وفق المُشتركات والمصالح العُليا للموحّدين المؤمنين بالله تعالى.

وبذلكَ يقول الدكتور أيمن المصري:" أنَّ الدّين الصحيح بِما يحملهُ مِن رؤيةٍ كونيّةٍ ومنظومةٍ أخلاقيّة، هو الّذي يُطابق الرؤيا الكونيّة والأخلاقيّة للعَقلِ البرهاني"[21]

وهذا ما جعل الشارع المُقدّس، إثبات حُجيّة العَقلِ في جميع الأزمنةِ، للتأمّل والتفكّر في الكشفِ عن الحقائق، لِعلمه تعالى بإمكان صدور التحريف والتزوير مِن الإنسان في تلك النصوص الدينيّة، وتجييرها للصالحِ الشخصي والنفعوي، فنحتاج الى الكَشف والتحرّي عن أصول وجذور الشريعة التوحيديّة الجامعة للبشر.

---

[18]- الكافي، الكليني،ج1، ص16، م.س.

[19]- المصدر نفسه، ج1،ص14.

[20]- المصدر نفسه، ج1، ص14.

[21]- مكانت العقل في القرآن والسنة، أيمن المصري، مؤسسة البديل، كربلاء، مطبعة عاشوراء، ط1، 2022م،ص42.

المبحث الثاني: الأصلُ الديني المُشترك بين الشرائع السماويّة التوحيديّة

في البِدء نؤكّد، أنَّ الدعوةَ الى الحقيقة المُشتركة بينَ التشريعات السماويّة، والعَمل بالمُشتركان النقليّة والعقليّة، وفق الرؤيا المعاصرة، لا تعني إلزام التشريعات والأطراف الأُخرى، بتركِ تُراثهُم الفقهي والأخلاقي والعَقَدي، الّذي لا يتناقض ولا يتعارض والثوابت التوحيديّة النقليّة والعقليّةالمُشتركة، فالمُهم توحيد الرؤى وفق الأصول والجذور السماويّة التي لا يرفضها العَقلُ والوجدان والنقلُ السّليم، فهي الحقيقة التوحيديّة المُشتركة، التي يجب أن نُسلّم لها علانيّةً وسِرّا.

المطلب الأوّل: الرؤيا والحقيقةُ المُشتركة بين الشرائع التوحيدية

التوحيدُ لُغةً: عرّفهُ الخليل الفراهيدي بِأنّهُ:" الرجل الوحيد ذو الوحدة، وهو المُنفرد لا أنيس معه. والتوحيد: الإيمانُ بالله وحده لا شريك له، والله الواحد ذو التوحّد والوحدانيّة"[22].

التوحيدُ إصطلاحاً: عرّفهُ السيّد عبدالأعلى السَبزواري، بأنّهُ: كَون الموجود لهُ مِن صفات الكمال والتناهي عن الجلالِ، بحيث لا يمكن أن يحدّهُ حدٍّ، ولا يَصحُ فرض ثانٍ له أبدا، فهو الحقُّ الصِرف الذي يملك كُلَّ شيء، وغيرهُ الباطل الّذي لا يملُك لِنفسه شيا[23]. وعرّفهُ السيّد مُحَمّد سعيد الحكيم": تفرّد الله عزَّ وجل بالإلوهيّة والخَلقِ والتدبير، وعليه يتفرّع استحقاقه تعالى للعبادة، وتفرده بذلك[24]. وبذلكَ لا يَبتعد معناهُ اللإصطلاحي عن معناه اللغوي كثيرا.

التوحيد والعَدل الإلهي حقيقةٌ وصِفةٌ ذاتيّةٌ لا تنفكّ عن الله الحكيم، ويُسلّم جميع التشريعات لِهذا الأمر، ولا يُشكّك بِها أحد، وإنْ إختلفوا في الجُزئيات والعَوارض، إلّا أنَّ الجميع يقول الله واحدٌ عادلٌ، حتّى مِن الّذين يقولون بالتثليث والأقانيم الثلاث، تجدهُم واقعا يفسّرونا بِأنّها ثلاثةٌ في واحدٍ وواحدٍ في ثلاث، وعلى أيّ حال فالتسليم بالخالق الواحد الواجد العادل مُتحقق، في كِيان التشريعات الثلاث التوحيديّة، وإن إختلفت في صِفاتهِ سَلبا وإيجابا، وهذا الإختلاف موجودلإ حتّى بين المذاهب الإسلاميّة برؤيتها العَقَديّة، ولكن بالتأكيد بصورة أقل.

التوحيد اليهودي والنصراني:

التوحيدُ في اليهوديّة والنصرانيّةُ أصلٌ في نشئتِه الأُولى، ومُجملٌ ومحرّفٌ في ثوبِه الحاضر، والقرآنُ شاهدٌ على صِدقِ الأصلِ، قال تعالى:**{إِنَّا أَنزَلنَا التَّورَاة فِيهَا هُدًى وَنورٌ يَحكُمُ بِها النَبِيُّونَ}**المائدة44. وقال تعالى: **{وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وعِندَهُمُ التَّوراةُ فِيها حُكمُ الله}**المائدة43. وقال تعالى: **{نَزَّل عَلَيكَ الكِتابَ بالحقِّ مُصدِّقا لِّما بَينَ يَديهِ وأَنزَلَ التَّوراة والإنجيلَ}**ال عمران3. وقال تعالى**{وقفَّينا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسى ابن مَريمَ مُصَدِّقا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ التوراةِ وآتيناهُ الإنجيل فيهِ هُدى ونُورٌ}** المائدة 46. ومع هذا الإجمال والتحريف في الأصل الشّرعي اليهودي والنصراني، فإنَّ الله تعالى قد حفظ لنا ما يُثبت حقيقة التوحيد والعَدل في تلكَ الشريعة، فقد ورَدَ في سِفر الخروج مِن **التوراة: (أنا الربُّ إلهك، الّذي أخرجك من أرض مِصر من بيت العبوديّة،لا يكن لك إلهة أخرى أمامي، لا تصنع لكَ تمثالا منحوتا،،،،،لا تسجد لهُنَّ ولا تعبدهُنَّ)** الخروج:20: 52.

وفي **سِفرِ أشعياء: (أنا الربُّ وليس آخر، مُصوّر النور وخالقُ الظلمة، صانع السّلام،،،أنا الرَّبُّ صانعُ كُلِّ هذا)**الإصحاح45: 76. وغير ذلك من النصوص الكاشفة عن أصلِ وجذور التوحيد في الديانة اليهوديّة والنصرانيّة، رغم ما أصابها من تحريف وتزوير ودسّ.

أمّا ما خرج عن التوحيد والعَدل في النصوص اليهوديّة والنصرانيّة فهي كثيرةٌ، حتّى وصل الأمر أنّهُم ينسبون الشرَّ والندم والضعف لله تعالى، على سبيل المثال: **(فندم الربُّ على الشّرِ الذي قال أنّهُ يفعله بشعبه)** الخروج32: 14. و**(فيصنعون لي مقدسا لأسكُن في وسطيهم)** الخروج25: 8. وجعلوا النصارى الله تعالى ثالث ثلاثة من الأقانيم، تشترك جميعُها في الإيجاد والتشريع والخَلق، وغيرها الكثير.

---

[22]- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت175هـ،تح مهدي المخزومي،دار الهجرة ايران، ط2،1409هـ،ج3، ص281.

[23]- التوحيد في القرآن، عبدالأعلى السبزواري،دار الكتاب العربي،لبنان، ط1، 1432هـ - 2001م، ص12.

[24]- أصول العقيدة، محمدسعيد الحكيم، دار الهلال، ط1، 1427هـ -2006م، ص55.

دور أئمة أهل البيت(عليهم السّلام) في الكَشفِ عن أُصول الكُتب السماويّة

لا شكَّ أنَّ أئمة أهل بيت النبي(صل الله عليه وآله)، لهُم دورٌ مُهِمٌّ في الكَشفِ عن الغموض واللبس والتحريف، الّذي أصاب التشريعات السماوية، وتصحيح المفاهيم والعَقائد المغلوطة لدى أتباعِ تلك التشريعات، حتّى سؤل **الإمام موسى بن جعفر**(عليه السّلام) مِن الجاثليق بريهة النصراني بعدَ مُحاورةٍ طويلة، أسلَم على أثرِها. قال بريهة: أنّى لَكُم التوراة والإنجيل وكُتب الأنبياء؟ قال(عليه السّلام)**: (هي عندنا وراثةٌ مِن عندهم، نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوها، إنَّ اللهَ لا يجعل حجّةً في أرضهِ يُسأل عن شيءٍ فيقول: لا أدري)**[25].

فقد ورَدَ عن **الإمام جعفر الصادق**(عليه السّلام): **(إنَّ مما أوحى اللهُ الى موسى وَأنزَلَ عليه في التوراةِ، انّي أنا الله لا إلهَ إلّا أنا، خَلَقتُ الخَلقَ وخَلَقتُ الخَيرَ، وأجريتهُ على يَدَي مَن أُحبُّ، فطُوبى لِمَن أجريتُهُ على يَدَيه)**[26]. **وعنهُ**(عليه السلام): **(في التوراةِ مكتوبٌ، يا ابن آدم تفرّغ لعِبادتي، أملأ قَلبَكَ غِنى،ولا أُكِلكَ الى طَلَبِكَ، وعيٌّ أن أسُدَّ فاقَتَك، وأملأ قَلبَكَ خَوفا مِنّي، وإن لا تَفَرَّغ لِعِبادَتي، أملأ قَلبَكَ شُغلا بالدُنيا، ثُمَّ لا أسُدَّ فَاقَتَكَ،وأُكِلَكَ الى طَلَبِكَ)**[27].

وعن **الإمام مُحمّد الباقر**(عليه السّلام) قال : **(إنّ في التوراةِ مكتوبا يا موسى إنّي خلقتُكَ وإصطَفيتُكَ وقَوّيتُكَ وأمرتُكَ بِطاعَتي ونهَيتُكَ عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتُكَ على طاعتي، وإن عصيتَني لم أعِنكَ على معصيتي، يا موسى ولِيَ المِنَّةُ عَلَيكَ في طاعتِكَ لي، ولِيَ الحُجّةُ عَلَيكَ في مَعصيتِكَ لِي)**[28]. الدّال على أنَّ الفَضلَ المِنَّةَ كُلُّها لله تعالى، ولا شكَّ أن طاعة الله تعالى تكمُن في السّلام والأُلفة بين المخلوقين، فلا ينتفع الله تعالى بطاعة العِبادِ له ولا ينتقص بِمعصيتهم لهُ، وإنّما غاية التشريع إقامة العَدل الإلهي الشامل، ونشر الرحمة والمودّة بين العِباد.

وقد كَشف **الإمامُ علي الرضا**(عليه السّلام)، مِن خِلالِ مناظراته، في تهذيب المفاهيم والمُعتقدات الدينيّة المغلوطة، التي توارثوها اليهود والنصارى، والتي سرت بعضها الى المسلمين، وإرجاع الشرائع الى الأصل والحقيقة المُشترك، مِنها مناظرة علي بن أبي قرّة **للإمام الرضا**(عليه السّلام)، قال أبو قرّة: ما تقول في الكُتُب؟ فقال(عليه السّلام)**: (التوراةُ والإنجيلُ والزبور والفُرقانُ وكُلّ كتابٍ أُنزِلَ، كان كلام الله، أنزَلَهُ للعالمينَ نورا وَهُدى، وهي كُلُّها مُحدَثةٌ، وهي غير الله حيث يقول: {أو يُحدِثُ لَهُم ذِكرا}** طه113. وقال**{ما يأتيهم مِن ذِكرٍ من ربّهم مُحدِثٍ إلّا استَمَعوهُ وَهُم يَلعَبونَ}** الانبياء2. **والله أحدث الكُتب كُلَّها التي أنزلها.فقال أبو قُرّة: فهل تَفنى؟ قال ابو الحسن(عليه السلام)،،،،ما سُوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعل الله،،،،وكذلك التوراة والإنجيل والزبور، وهي كُلُّها مُحدَثة مربوبة، أحدثها مِن ليس كَمثلِهِ شيء لقومٍ يعقلون، فَمَن زَعَمَ أنَّهُنَّ لم يَزَلنَ مَعَهُ، فقد أظهرَ أنَّ الله ليسَ بِأوّل قَديم ولا واحدٍ، وأنَّ الكلام لم يَزل مَعه وليسَ لهُ بِدءٌ وليسَ بِإله...)**[29]. وهذا الحديث مِن الإمام الرضا(عليه السّلام)فيه إشارات عِدّة، مِنها أن إطلاق حُكم واحد مِن الإمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، كاشفٌ عن مكانة الكُتب السماويّة، وأنّها صادرة عن الله تعالى، وأنَّهُ تعالى مُحدث لجميع الكُتب والتشريعات، وهذا المعنى يعطي لنا دافعيّةً ومُحرّكيّةً نحو التقارب والتعايش السّلمي، لوحدة المَنبع ووحدة المصير، فلا ينبغي لنا إنكار الحقيقة المُشتركات بين الناسِ عموما والموحّدين خصوصا.

وَزَادَ **الإمام علي الرضا**(عليه السّلام)،في مناضراته، ليكشف علاقة الكُتُب السّماويّة فيما بينها، كُلٌّ مِنها يؤيّد ويُعاضد الآخر، لِكونِها من مَنبعٍ واحد، ففي إحتجاجاته على رأس الحالوت، قال **الإمام: ((في التوراةِ نَبّأ مُحَمّد وأُمّته: (إذا جاءتِ الأُمّة الأخيرة اتباع راكِب البعير، يُسبِّحون الرَبَّ جدّاً جدّا، تسبيحا جديدا، في الكَنائِسِ الجُدُد، فَليَفرِغ بَنو إسرائيلَ إليهِم والى مَلِكِهِم، لِتَطمَئِنَّ قُلُوبُهُم، فَإنَّ بِأيدِهِم سُيُوفا يَنتَقِمونَ بِها مِنَ الأُمِ الكافرةِ، في أقطار الأرض)، إنَّ التوراةَ تقولُ**

---

[25]- التوحيد، الصدوق ت381هـ، تح هاشم الحسيني، مطبعة جماعة المدرسين قم، ط1، 1398هـ، ص270.

[26]- المحاسن، احمد بن محمد البرقي ت274هـ، دار الكتب الاسلامية قم،ط2، 1371هـ، ج1، ص283.

[27]- الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني ت1091هـ، ط1، 1406هـ، ج4، ص355.

[28]- إعتقادات الإماميّة،محمد بن علي الصدوق،تح عصام عبدالسيد،المؤتمر العالمي للشيخ المفيد،قم،ط2،1413هـ ق - 1371هـ ش، ص39.

[29]- الإحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي،ج2،ص405، م.س .

لَكُم(جَاءَ النورُ مِن جَبلِ طُور سَيناءَ، واضاءَ لَنا من جَبَل سَاعِيرَ، واستَعلَنَ عَلَينا من جَبَلِ فَارَانَ)... في التوراةِ(رأيتُ رَاكِبَين أضَاءَ لَهُما الأرض، أحدهُما راكِبٌ على حِمار والآخر على جَمَل))[30].

ولعَلَّ ما كَشَفَ عنهُ **أمير المؤمنين علي(عليه السّلام)** هو الأروعُ في معرفته الكاملة للكُتب السماويّة الأصليّة، وأن كُلٌ مِنها صادقةٌ صالحةٌ للتطبيق المُحَكم والشّقاف، وجميعُها تنبع عن مَنهلٍ عذبٍ واحد، إلّا أنَّ أصحاب المنافع الخاصّة، غيّروا هذا المَسار، وأدخلوا فيه ما لا ينسجم ولا يتلائم والمنظومة الإلهيّة العادلة الشاملة، قال **الإمام (عليه السّلام): (لَو ثُنِيت لِيَ وِسادةٌ لَحَكَمتُ أهلَ القُرآن بِالقرآنِ حَتَّى يَزهَر الى اللهِ، وَلَحَكَمتُ بَينَ أهلِ التَّوراة بالتوراة حتّى يَزهَر الى الله، وَلَحكَمتُ بَينَ أهلِ الإنجيل بالإنجيل حتّى يَزهَر الى الله، وَلَحَكَمتُ بين أهل الزّبورِ بالزّبور حتّى يَزهَر الى الله، وَلَولا آيةٌ في كِتابِ اللهِ لِأنبأتكُمُ بِما يكون حتّى تقوم الساعة)**[31]. فإنَّ الموضوعيّة التي يمتلكها الإمام(عليه السّلام)، تعطي دِلالةٍ واضحةٍ عن تعامل الإسلام بروح التعايش السّلمي، مع جميع الأديان فيما لو كانت السّلطنة والغلبة للمُسلمين، وعدم إستغلال السلطنة والقوّة في سلوكياتهم ومعاملاتِهم إتّجاه الأقلّيات غير المُسلمة، فإنَّ الدين المُعاملة والسّلم والأخلاق.

مُضافاً الى أنَّ الإسلامَ مِن خِلالِ أئمّة أهل البيت(عليهم السّلام)، كانوا يُراعونَ مَشاعر ابناء التشريعات الأُخرى، ويُنصفونهُم في القضاءِ العادل، والمُعاشرة الطيّبة، وذلكَ مِنَ الدّين، وهذا ما جعل الإمامُ علي(عليه السّلام) ينفعل حينما رأى رجلا نصرانيّا يتكفّف في الكوفة، خِلال خلافته، فقال مُتعجّبا: **ما هذا. فقيل رجل نصراني كَبر وعجز ويتكفّف**. فقال(عليه السلام)**: لم أقُل مَن هذا وإنّما قُلتُ ما هذا**. ثُمَّ قال: **ما أنصفتموه إستعملتموه حتّى إذا كبُرَ وعجز تركتموه، أعطوهُ من بيت المال**[32]. إذ شعر الإمام أنّهُ جُزءٌ مِن المظلوميّة، لِكونهِ المسؤول الشّرعي والأخلاقي والإنساني، لا بصفتهِ الحاكم. وفي حادثةٍ أنّ الإمام علي(عليه السلام)حينما كان على رأس السُّلطة، وجد دِرعهُ عند نصراني، فتحاكما عند القاضي شُريح الّذي كان مُنصّبا مِن الإمام نفسه، فقال شُريح يا أمير المؤمنين أَلَديكَ بينةٌ، فقال الإمام مُتعرضا: **هذا أوّل ظُلمِك**، ثُمَّ قال: **سمّني بِإسمي كما تُسمّي النصراني**، وقال ليسَ عندي بينة، فحكم شُريح للنصراني، فتقبّل الإمام الحُكمَ. فقال النصراني**: أمّا أنا فأشهد أنّ هذا حُكم النبيين**[33]. وهكذا ينبغي التعامل مع الخَلقِ، و**(الخَلقُ عِيالُ الله فأحبّهُم اليه أحسنهُم صنيعا الى عِياله)**[34]، كما يقول **الباقر**(عليه السلام).

التعيشُ والحور والوسطيّة أصلٌ ومَبدئٌ إسلامي:

تقدّم أنَّ النصوصَ القرآنيّة الدّالة على مبدأ جعل الوسطيّة والإعتدال والتعايش كثيرة،**(وَكَذلِكَ جعلناكُم أُمّةً وَسَطا)**البقرة143. وعدم الإكراه في العَقيدة**(لَاإِكْرَاهَ في الدّين)**البقرة256. **(أفأنتَ تُكرهُ النّاسَ حتّى يكونوا مؤمنين)**يونس99. **(ويُريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ وَلَا يُريدُ بِكُمُ العُسر)**البقرة185. وصريحةٌ في**(كلِمةٍ سَواء)**ال عمران64.، وأنَّ تنوّع الشعوب والقبائل مِن الجعل التكويني**(وجعلناكُم شعوبا وقبائل)**،وواضحةُ الغرض(**لتعارفوا**)الحجرات13. وعلى هذا لا ينبغي الإختلاف والتناحر والعداوة، بين الأديان والشعوب المؤمنة، والشواهدُ كثيرة على ذلك، هذا مِن الجانب النظري، وهذه الكَلمات على قِلتها تكفي دستورا للوحدة والتعايش الحقيقي بين جميع التشريعات السماويّة، وغيرها.

وأمّا مِنَ الجانب العَملي، فكذلك الشواهد كثيرة، نأخذ محل الشاهد وما يَسَعهُ المقام، فقد وَرَد عن **الإمام علي بن موسى الرضا**(عليه السّلام)، في واحدةٍ مِن حواراتهِ الطويلة مع الأديان الأُخرى، بِسِعةِ صَدرٍ وهدوءٍ تام، **(أمرَ المأمون الفضلَ بن سهل، أن يجمع أصحاب المقولات، مثل الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت اليهودي، وزؤساء الصابئة والمجوس والزردشتيّة والطبيب فسطاط الرومي، وقال المأمون: يا جاثليق هذا ابن عمّي وهو مِن ولدِ فاطمة بنت مُحمّد رسول الله، وابن علي بن ابي طالب، واحبُّ ان تُحاججهُ، فقال الجاثليق: وكيف أحاجُّ رجلا يحتجُّ بكتابٍ أنا أنكرهُ ونبيٍّ لا أومنُ به. قال الرضا: يا نصراني إن حاججتُكَ بِإنجيلِك أتقرّ به، قال: نعم والله، قال الإمام: سَل ما بدى لك، قال الجاثليق: ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه، قال الإمام: أنا مُقرٌ بنبوة عيسى وكتابه،،وكافرٌ بنبوة كُلّ عيسى لا يَقرُّ بنبوةِ مُحمّد وكتابه، قال الجاثليق: أقم شاهدا من غير ملّتك على نبوة مُحمّد، مما لا تنكره النصرانيّة. قال الرضا:ما تقول في يوحنا الديلمي، قال: بخٍّ بخٍّ**

---

[30]- عيون اخبار الرضا، الصدوق، تحقيق مهدي اللاجوردي،منشورات جهان،طهران، ط1،1420هـ ج1، ص165.

[31]- بصائر الدرجات،محمد حسن الصفّار ت290هـ، تح محسن عباس، مكتبة المرعشي،قم، ط2، 1404هـ،ج1، ص132.

[32]- وسائل الشيعة، الحر العاملي،محمدبن الحسن،تح عبدالرحيم رباني،المكتبة الاسلامية طهران، ط4، 1397هـ ق، ج15، ص66.

[33]- بحار الانوار، المجلسي، ج97، ص291،م.س .

[34]- جامع احاديث الشيعة، حسين البروجردي،مطبعة المهر قم،ط2، 1373هـ ش، ج16، ص177.

ذكرتَ أحبُّ الناس الى المسيح.... قال الرضا:وإن جِئتُ بمن يقرأ الإنجيلَ ويذكر محمّد وأهل بيته، قال الجاثليق: سديدا. قال الرضا لفسطاط الرومي، كيف حِفظكَ للسِفر الثالث، قال فسطاط: ما أحفظني له، فإلتفت الرضا الى الجاثليق وقال: ألَست تقرأ الإنجيل: قال نعم. ثُمَّ أخذ الإمام الرضا يقرأ السِفر الثالث حتّى بلغ ذِكر محمّد وآل محمّد، ثُمَّ قال ماذا تقول يا نصراني، هذا قول عيسى بن مريم،فإن كذبت الإنجيل فقد كذبت عيسى. قال الجاثليق: لا أنكر ما بانَ لي من الإنجيل وإنّي مُقرّ به، ثُمَّ أخذ الجاثليق يسأل عن عدد حواريي عيسى وعلماء الإنجيل وعشرات الأسئلة، ثُمَّ نظر الى رأس الجالوت والهربذ الأكبر وأصحاب زرادشت والصابئة وحاجبهم جميعا)[35]. رأينا كيف كانت الأجواء الحواريّة التي كانت تَسود أهل الأديان، وحريّة الفكر والمُعتَقد، وهي حالةٌ سائدةٌ ومألوفةٌ في تلك الأزمنة، فكيف لا تكون مألوفة في وقتنا الحاضر، ونحن أحوجُ اليها اليوم.

التعايشُ الإيماني في زمن الظهور:

في مُعتقَد المنظومة الفكريّة لِمدرسةِ أهل البيت(عليهم السلام)، لو إجتمع جميع الأنبياء في زمانٍ واحدٍ ما اختلفوا، لِوحدة الرسالة والرسول والهدف، وهكذا لو إجتمع الأئمّة المعصومين مع الأنبياء، أي أنَّ التعايشُ الإيماني موجودٌ وقائمٌ في زمن الإمام المهدي، فقد وردَ عن النبي(صل الله عليه وآله)، أنَّهُ قال:**(ليسَ بيني وبينه ـ عيسى ـ نبي،وأنَّهُ نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوعٌ الى الحمرة والبياض... فيُقاتل الناسَ على الإسلام، فيدقّ الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانهِ المِللَ كُلّها إلّا الإسلام، ويهلِك المَسيح الدجال، فيمكثُ في الأرض أربعينَ سنةٍ، ثُمَّ يتوفى فيصلّي عليه المُسلمون)**[36]. وَوَردَ عنهُ(صل الله عليه وآله): **(والّذي نفسي بيدهِ لَيوشِكنَّ أن ينزل فيكُم عيسى بن مريم حكما عادلا، فيكسر الصَليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية)**[37].

وعن إبن عبّاس، قال، قال **رسول الله**(صل الله عليه وآله): **(لن تهلك أُمّةٌ أنا أولها وعيسى بن مريم في آخرها، والمهدي في وسطِها)**[38]. وهكذا يُبشّر النبي الأكرم بِأنَّ عيسى بن مريم سوف يظهر، ويُصلّي خلف الإمام المهدي المنتظر، ويكون حُجَّةً على النصارى في دخول الإسلام، والإيمان بالمُخلّص المهدي المنتظر(عجّل الله تعالى فرجه)، والقضاء على الظُلم ونشر العَدل. قال **النبي**(صل الله عليه وآله): **(لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللهُ ذلكَ اليوم، حتّى يخرج المهدي، فينزل عيسى بن مريم فيُصلّي خلفه)**[39]. كُلُّ ذلكَ يقع تحت التخطيط الإلهي العام.

ومِن هُنا نستطيع القول، أنّ إيمان المسلمين بعيسى(عليه السّلام)، أقوى من إيمان النصارى به، فهُم يقولون أنّهُ صُلِب، والمسلمون يَعدّونهُ حيّا، والتأثير والتأثّر بالحي أشدُّ مِن التأثّر بالميّت، وثمرة الحيّ أقوى من ثمرة الميّت. ومِن هُنا يقول السيّد الشهيد مُحَمَّد مُحَمَّد صادق الصّدر(قد): (أنّ الإمام المهدي والسيّد المسيح، هُما شخصان يظهران معا، ويُبذلان جهودا مُشتركةً في إنقاذ العالم، وتطبيق العدل الكامل، ويتكفّل كِلاهُما قيادةٌ واحدة، ومَهمّةٌ واحدةٌ)[40].

وبِهذا نعرف حجم التعارف والتعايش والتلاقح الفكري والروحي والعَقَدي، بين أنبياء الله تعالى، لرفع مُستوى وعي الأُمّة، وإقامة العَدل الإلهي، وتوحيد الأُمّة دينيّا وروحيّا.

---

[35]ـ منتهى الامال، عباس القمّي، مطبعة سرور، قم، ط2، ج2، 1426هـ ـ2005م، ص178.

[36]ـ نقلا عن: المسيح المنتظر، عباس الزيدي، إصدارات جيم، البصرة، ط2، 2007م، ص190.

[37]ـ المصدر نفسه، ص189.

[38]ـ تاريخ ما بعد الظهور، محمد صادق الصدر، مطبعة بني الزهراء قم،ط1، 1425هـ، ص591.

[39]ـ الإيقاظ من الهجعة في البرهان الى الرجعة، محمد حسن الحر العاملي ت1104هـ، تح مشتاق المظفر،مط نكارش، قم، ط1، 1422هـ، ص304.

[40]ـ تاريخ ما بعد الظهور، محمد محمد صادق الصدر، ص600، م.س.

المطلبُ الثاني: الحقيقةُ المُشتركةُ بين الأديان بَينَ التنظير والتطبيق

الإيمانُ بالمَبدء التعايشي الحقيقي بين الأديان، يحتاج الى سِعة الصَدر والخُلوص لله تعالى، ومصداقيّةٌ تامّةٌ، وحمل الطرف الآخر على أنّهُ شريك حقيقي طبيعي في الحياة والمآت، في الدّين والخَلق، في الإنسانيّة ومُتطلّبات العَيش الكريم. نحتاجُ الى المِصداقيّة في التحوّل المسؤول والشعور بالمسؤوليّة الجمعيّة، فالخَلق عِيالُ الله تعالى كما مرَّ في الحديث الشريف، نحتاج الى التطبيق الحقيقي العادل، ولا نكتفي بالتنظير، والمؤتمرات والمُقررات والمُخرجات فحسب.

النبي مُحَمَّد(صل الله عليه وآله)، مؤسس تِلكَ الحضارة الضخمة، التي إمتدّت الى مساحاتٍ شاسعةٍ، لم تُأسّس على ضوء العُنفِ والتطرّف، وإنّما ركّزت في مبدئها على التعايش العُقلائي التعايشي السّلمي، والمُخلّص مِن الظُلم والعدوان، وجسّدَ ذلكَ نظريّا وعمليّا، وفق مُنطلقات عُقلائيّة موضوعيّة، فتارةً يعمل في التقريب والتعايش على ضوء قاعدة **(الإنسانيّة)**، وتارة ثالثة يعمل على ضوء قاعدة**(الدّين الواحد)**، وتارةً ثالثةً يعمل على ضوءِ قاعدة**(المواطنة)**، بِحسب طبيعة المُجتمعات ومُتبنّياتهم، لِأجلِ إحياءِ السّلوك الجمعي. فكانت وثيقةُ(المدينة) ـ الصحيفة ـ، في السّنة الأولى من الهجرة، إنطلاقةً واقعيّةً عمليّةً، ودستورا مدنيّا وسياسيّا مِثاليّا، لِجمع المُسلم والمسيحي واليهودي والرومي والفارسي، وهي وثيقةٌ تُرسّخ مبدء التعايش بين الأديان والمذاهب والشعوب.

نصُ وثيقةُ (المَدينة) كاشفةٌ عن إمكانِ الوحدة الحقيقيّة بين الأديان:

وتقع في سبعٍ وأربعين فقرة، وتُسمّى الصحيفة،وهي طويلة ناخذ منها محلّ الشاهد، مع مُراعات الإختصار، ومَن أرادَ الإستزادةَ فاليُراجع الوثيقة كاملة في محلها.

الفقرة (1): " هذا كتابٌ من مُحَمَّد النبي بين المسلمين المؤمنين من قريش وأهل يثرب ومَن تَبِعهُم". وأهل أديان وأجناس متعددة.

الفقرة(2): " إنّهُم أُمّةٌ واحدة" فأعطى مفهوما جديدا لمعنى الأمّة، أوسع مِن القبيلة والقرية والقومية. يقول **مُحَمَّد متولّي الشعراوي:** " إنّ إعتراف هذه الصحيفة بجماعةِ المخالفين، ثُمَّ وصفهُم بالأمّة الواحدة، يؤكّد انّ الألفة بين الجماعات على أرضٍ واجدة، هي حجر الأساس في بناء الوطن،...لعلَّ العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحملهُ الإسلام مِن فكرٍ مُتقدّم في حقوق الإنسان وحقوق المواطنة "[41]

الفقرة(3): " المهاجرون من قريش على رِبعتِهم، يتعاقلون بينهُم، وهُم يفدون عانيهم بالمعروفِ والقسط بين المؤمنين.... وكُل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط" إشارة الى التعاون والتكافل الإجتماعي الكامل.

الفقرة(4): " إنّ المؤمنين المُتقين أيديهم على كُلِّ مَن بغى مِنهم، أو إبتغى دسيسة، ظلما أو إثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان وَلَد أحدهُم " للدِلالة على المصداقيّة التطبيقيّة، وعدم التعاطف في مَن يخدش الوحدة والمُعاهدة.

الفقرة(5): " مَن تبعنا مِن اليهود، فإنَّ لهُ النُصرة والأسوة" أي كانت نصرتهم واجبة على المُسلمين.

الفقرة(6): " وأنّ يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين، لليهودِ دينهُم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم، إلّا من ظلم نفسه أثِم"

الفقرة(7): " بينهُم النصر على مَن حارب أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهُم النُصح والنصيحة والبرّ دون الإثم"

الفقرة(8): " وأنَّ الجار كالنفسِ غيرُ مُضارٍ ولا أثم " فجعل المُجاورة بين اليهودي والنصراني والمسلم كالنفسِ الواحدة، بِحكمِ المُجاورة والمواطنة، فكيف إذا كانت بينهُم رابطة الإله الواحد، والرَّبُّ الواحد، والخالق الواحد.

يقول الشيخ **مُحَمَّد مهدي شمس الدين:** " إنَّ ما جاءَ في الصحيفةِ، حكمٌ ثابتٌ غير منسوخ، وأنَّ النبي يدعوهُم ولكنَّهُم أحرارٌ في القبولِ والعدم، وأنَّ عدم الإستجابة لا يؤثّر على حقوقِهم المدنيّة ماداموا مواطنين لم يَخونوا...لو لا أنّ اليهود أفسدوها بتامرهم ودخولهم في حربٍ مع المسلمين لنُصرةِ قريش، فخالفوا بنودَها، ممّا أدّى

[41]ـ نقلا عن: مبدء التعايش، رعد عسّاف،مؤسسة العهد الصادق، قم، ط1، 2007م، ص85.

الى إنهيار المجتمع المتنوّع"[42]. وإلّا فإنَّ الأصلَ القرآني لا يسمح بِقتالِ أهلِ الأديان وغيرهم، إلّا إذا كانوا يُريدون قتلهُم، قال تعالى:**{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}**البقرة190.

ومِن هُنا يقول المفكّر **سيّد قُطب** " لم يكن يوما من أغراض الحرب في الإسلام،إكراه الناس على إعتناقه، لا في مبادئه النظريّة ولا في واقعهِ التاريخي، اللهُمَّ إلّا فَلتات عارضةٌ وقعت خطأ، ممن لم يفهموا حقيقة الدعوة الإسلاميّة، ولا تُحسب على الدين، لِأنّها ليست من هذا الدّين، وما إنتشر الإسلام بالسيف كما يصفهُ الجاهلون بهِ، والمُعادون له، وما كان الحرب فيها لِإكراه الناس على إعتناقه، وإنّما كانت الحرب لِإزالة الطواغيت، التي تَحول بين الناس وبين سَماع الدعوة،... وكما كانت لِإزالة الطواغيت التي تدّعي الإلوهيّة وتغتصب حقائقها، وتتعبّد الناس من دون الله"[43].

وهذا ما أكّدهُ **المُستشرق(سيرت أرنولد)**، في كتابه الدعوة الى الإسلام، بقوله: " نستطيع أن نستخلص أنّ هذه القبائل المسيحية، التي إعتنقت الإسلام، إنّما فُعِل ذلك عن إختيارٍ وإرادةٍ حُرّة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مُسلمة، لَشاهد على هذا التسامح...ويمكننا أن نحكم من الصِّلات الوديّة، التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بِأنَّ القوّةَ لم تكن عاملا حاسما في تحوّل الناس الى الإسلام، فمحمد نفسهُ عَقدَ حِلفا مع القبائل المسيحيّة، وأخذ على عاتِقهِ حمايتهم، ومَحَهُم الحريّة في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعِموا بحقوقِهم ونفوذهم، وقد وجد حلفٌ كهذا بين أتباع النبي وبين مواطنيهم، الّذين كانوا يدينون بالوثنيّة دينهُم القديم"[44].

وثيقة التعايش الثانية مع أهلِ الكِتاب:

وهي وثيقةٌ كاشفةٌ عن حجمِ المُشتركات والحقيقة الواحدة بين الأديان، وفق الموازين الشّرعيّة والعَقليّة والإنسانيّة، عَقَدها **النبي مُحمّد**(صل الله عليه وآله) مع كافّة النصارى، وبِخطِّ **الوصي علي بن ابي طالب**(عليه السّلام)، وهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ كتبهُ مُحمّد بن عبد الله،الى كافّة الناسِ جميعا، بشيرا ونذيرا، ومؤتمنا على وديعةِ الله في خَلقهِ،لئلّا يكون للناسِ على الله حُجّة بعد الرسل، وكان اللهُ عزيزا حكيما،كَتبهُ لِأهلِ ملّته، ولِجميعِ من ينتحل دين النصرانيّة،من مشارق الإرضِ ومغاربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وإعجمها، معروفِها ومجهولِها، كتابا جعلهُ لهُم عهدا،فمن نكث العهدَ الّذي فيه وخالفه الى غيره، وتعدّى الى ما أمرهُ،كان لِعهدِ الله ناكثا، ولِميثاقه ناقضا، وبدينه مُستهزئا، وللعنة مستوجبا،سلطانا كان أم غيره،من المسلمين المؤمنين،وإن إحتمى راهبٌ أو سائحٌ، في جبلٍ أو وادٍ أو مغارةٍ أو عمرانٍ أو سهلٍ أو رملٍ أو ردنةٍ أو بيعة،فأنا أكون من ورائهم،ذابٌ عنهُم من كُلّ عِدّة لهُم، بنفسي وأعواني وأهل مِلّتي وإتباعي،كأنّهُم رعيّتي وأهل بيتي، وليسَ عليه جبرٌ ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا يُغيّر أسقف مِن أسقفيته، ولاراهب من رهبانيته، ولا حبيس من صومعته، ولا سائح من سياحته، ولا يُهدم بيتٍ مِن بيوتِ كنائسهم ويَبعهم، ولا يدخل شيء من مالِ كنائسهم في بناءِ مسجد، ولا في منازل المسلمين، فمن فعل شيئا من ذلك، فقد نَكثَ عهد الله وخالف رسوله، ولا يُحمل على الرهبان والأساقبة، ولا من يتعبّد، جزية ولا غرامة، وأنا أحفظ ذمّتهم أينما كانوا، من برّ أو بحر، في المشرق والمغرب والشمال والجنوب،..... ولا يُجادلون إلّا بالتي هي أحسن، ويُخفّض لهم جُناح الرحمة، ويكفُّ عنهم المكروه حيثما كانوا وحيثما حلّوا، وإن صارت النصرانيّة عند المسلمين، فعليهِ برضاهم وتمكينهم من الصلوات في بِيعِهم، ولا يُحيلُ بينهم وبين هوى دينهُم[45].

---

[42]- في الاجتماع السياسي الاسلامي،محمد مهدي شمس الدين، تقديم زكي الميلاد، دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط1، 1412هـ، ص30.

[43]- السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط14، 1427هـ، 2006م، ص33.

[44]- نقلا: عن سيد قطب، الاسلام العالمي والإسلام، ص34، م.س.

[45]- محموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، محمد حميد الله، دار النفائس بيروت،ط7، 1422هـ -2001م، ص59.

وكما ترى مُراعاة وتعاطف ومشاعر صادقة، من الإسلام إتجاه النصارى، لِإشعارهم بالوحدة الحقيقيّة بين الأديان، وأنهُم من منبعٍ ومنهلٍ واحدٍ، فمن غير المعقول التفرق والتشتت والعداوة، وترك هذه الروابط الأصيلة في دين الله تعالى.

ونحن لا نستغرب من سِعة هذه العاطفة التي إحتوتها الوثيقة، إذا ما إطّلعنا على المبادىء السامية والنبيلة للإسلام العظيم. حتّى أنَّ **الإمام علي**(عليه السلام) كان يوصي إبنهُ مُحَمَّد بن الحنفيّة: **(وإحسن الى جميع الناسَ كما تُحب أن يُحسن اليك، وأرض لهُم ما ترضاهُ لنفسك، وإستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسّن مع جميع الناس حلقك، حتّى إذا غبت عنهم حنّوا إليك وإذا مُتَّ بكوا عليك)**[46]. وهي قواعدٌ عدليّة وعقليّة ووجدانيّة، يشعر بِها كُلُّ إنسانٍ يريد أن يعيش بِأمانٍ ويُشعر غيرهُ بالأمان، فكُلُّنا مِن آدم وآدم مِن تُراب، فلا ينبغي التكبّر والإستعلاء الوهمي دون إستحقاق شرعي أو عقلي أو أخلاقي. نسأل الله تعالى أن يَمُنَّ على جميع الشرائع السّماويّة بالخير والسّلام والأمان، وأن يُفرّج عن المنقذ الأوحد والمُخلّص الأكمل لِكي يملىء الأرضَ عدلا وقسطا كما مُليئت ظُلما وجورا، وأن يُفرّج عن الشعب الفلسطيني بِمُسلميه ونصرانيه من هذا العدوان الظالم، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

[46]ـ ما لا يحضره الفقيه، الصدوق ت381هـ، دار الاضواء بيروت، ط6، 1405هـ -1985م، ج4،ص387.

نتائج البحث:

1ـ أنّ المُشتركات بين التشريعات السماويّة مُشتركات حقيقيّ وواقعيّة، وليس وهميّةً أو مُجرد تنظير، وإنّما لها واقع علمي وسندٌ شرعي وعقلي ووجداني.

2 ـ أنَّ التوحيدَ في مُقدّمةِ الأُصول والجذور الحقيقيّة الجامعة للأديان السماويّة، وهو عمود الدّين، وأصلٌ المُشتركات.

3ـ العَدلُ الشامل، هو الغاية من التشريع السماوي وبعث الأنبياء والرسل، وهو الحقيقة المُشتركة التي يسعى جميع الأديان الى تحقيقها.

4ـ أنَّ العَقلَ ومداركهُ من المُشتركات الحقيقيّة، التي لا يمكن التجرّد عنه، وهو الأساس العلمي والواقعي في التمييز بين الخير والشر، ولِذا عُدَّ الحُسن والقبح مِن المُستقلات العقليّة، لِأهميتها في التحقيق والتمييز والكشف الواقعي.

5ـ جميع الأديان تشترك وتعترف بحقيقة الكَشفِ العقلي عن الواقعيّات، وأنَّ الله تعبدنا بالعقل، وإن كانت بعض النصوص في الكُتبِ المُحرّفة، تحتوي على خلاف العقل والمنطق.

6 ـ القرآن المجيد شاهدةُ صريحُ، في الدعوة الى الوحدة الحقيقيّة بين الأديان، والى كلمةٍ سواء، تحت مظلة الإله الواحد والربّ الواحد وعدم الشّرك.

7 ـ مما حصل حجم التحريف في كتب اليهود والنصارى، فإنَّ الله تعالى أبقى الأثار التي تدلُّ على التوحيد في الديانة اليهوديّة والنصرانيّة، وأنَّ التحريف كان من عند أنفسهم وليس في أتصل التشريع.

8ـ الرسول مُحَمَّد وأهل بيته(عليهم السّلام)، كشفوا عن الكثير من واقع النصوص التوراتيّة والإنجيليّة الأصليّة، مِن خِلالِ المُحاورات والنقاشات مع القساوسة والرهبان من الأديان.

9ـ ينبغي أنَّ يكون الأصل والمعيار في الكشف عند النصوص المتناقضة لدى الأديان، هو العقل، فهو المائز في بيان التناقضات والمتضادات التي حضيت بها الشرائع المُحرّفة.

10 ـ أنَّ الإختلاف والتنوّع في الشعوب والقبائل هو من الجعل التكويني لله تعالى، لغرض التعارف وتبادل الخبرات، فلا ينبغي أن يكون مقتضي للتفرقة والإنشقاق.

11ـ انّ الإسلام منفتحٌ على جميع الأديان، لكي يُهيّئ الأرضيّة الخصبة للحوار والتعايش السّلمي، ويؤمن بعدم الإكراه في الدّين.

12 ـ أنَّ النظريّة المهدويّة خيرُ خلاصٍ للشعوب المظلومة، وهي نظريّة يطمح ويؤمن بها الجميع، وإن إختلفوا في التفاصل، وهي جزءٌ من العدل الإلهي الشامل.

13ـ إنّ الدعوةَ الى الوحدة الحقيقيّة بين الأديان، لا تعني ترك التراث الفقهي والعَقدي لدى الأديان، غاية الأمر العمل بالمشتركات وترك المُنفّرات.

فهرست المصادر:

القرآن المجيد

نهجُ البلاغة

1ـ التوحيد، مُحَمَّد بن علي الصدوق، تحقيق هاشم الحسيني، جماعة المدرسين قم، ط1.

2 ـ نهاية حلم، أيمن المصري، مطبعة زلال الكوثر،كربلاء، ط1، 2002م.

3 ـ بحار الأنوار، مُحَمَّد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1403.

4 ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، مطبعة ليلى بيروت، ط1، 1426.

5 ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني،مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط2، 1404.

6ـ الكافي مُحَمَّد بن يعقوب الكليني،منشورات الفجر بيروت،ط2، 1404.

7 ـ مرآت العقول، مُحَمَّد باقر، تحقيق هاشم رسولي، دار الكتب الإسلامي طهران،ط1404،2هـ.

8ـ معاني الأخبار، مُحَمَّد بن علي الصدوق، تحقيق علي اكبر غفاري،مؤسسة النشر الاسلامي قم، ط2، 1403هـ.

9ـ العدل الإلهي، مرتضى المطهري،تحقيق عبد المنعم الخاقاني، شبكة فكر، ط2، 1401هـ.

10ـ التعددية الدينية، مصطفى عزيزي،مطبعة عاشوراء كربلاء، ط1، 2020م.

11ـ الاحتجاج على اهل اللجاج،احمدبن علي الطبرسي ت588هـ، تحقيق مُحَمَّدباقر الخراسان، نشر المرتضى ايران،ط1، 1403هـ.

12ـ مكانة العقل في القرآن والسنة، أيمن المصري، مؤسسة البديل كربلاء، مطبعة عاشوراء، ط1، 2022م.

13ـ العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت175هـ، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهجرة ايران، ط2، 1409هـ.

14ـ التوحيد في القرآن، عبدالأعلى السبزواري،دار الكتاب العربي لبنان،ط1، 1432هـ ـ 2001م.

15ـ أصول العقيدة،مُحَمَّدسعيد الحكيم، دار الهلال، ط1، 1427هـ ـ 2006م.

16ـ المحاسن، احمدبن مُحَمَّد البرقي ت274هـ، دار الكتب الاسلامية قم، ط2، 1371هـ.

17ـ الوافي، مُحَمَّد محسن الفيض الكاشاني ت1091هـ، ط1، 1406هـ.

18ـ إعتقادات الامامية، مُحَمَّدبن علي الصدوق،تحقيق عصام عبد السيّد،المؤتمر العالمي للشيخ المفيد،قم، ط2، 1413هـ.

19ـ عيون أخبار الرضا، الصدوق، تحقيق، مهدي اللاجوري، منشورات جهان، طهران، ط1، 1413هـ.

20ـ بصائر الدرجات، مُحَمَّد حسن الصفار ت290هـ، تحقيق محسن عباس، مكتبة المرعشي قم،ط2، 1404هـ.

21 ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي مُحَمَّد بن الحسن، تحقيق عبد الرحمن رباني، المكتبة الاسلامية، طهران، ط4، 13970هـ.

22 ـ جامع احاديث الشيعة، حسين البروجردي، مطبعة المهر، قم، ط2، 1373هـ.

23ـ منتهى الامال، عباس القمي، مطبعة سرور قم، ط2، 1426هـ ـ 2005م.

24 ـ المسيح المنتظر، عباس الزيدي، اصدارات جيم البصرة، ط2، 2007م.

25 ـ تاريخ ما بعد الظهور، مُحَمَّد مُحَمَّد صادق الصدر، مطبعة بني الزهراء، قم، ط1، 1405هـ.

26 ـ الايقاظ من الهجعة في البرهان الى الرجعة،الحر العاملي مُحَمَّد بن الحسن، تحقيق مشتاق المظفر، مطبعة نكارش، قم، ط1، 1422هـ.

27 ـ مبدء التعايش، رعد عستاف، مؤسسة العهد الصادق، قم، ط1، 2007م.

28 ـ في الاجتماع السياسي الاسلامي،في الاجتماع السياسي الاسلامي، مُحَمَّد مهدي شمس الدين، تقديم زكي ميلاد، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1412هـ.

29 ـ السلام العالمي والاسلام، سيد قطب، دار الشروق، لبنان، ط14، 1427هـ ـ 2006م.

30 ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، مُحَمَّد حميد الله، دار النفائس بيروت، ط7، 1422هـ ـ 2001م.

31 ـ ما لا يحضره الفقيه، الصدوق ت381هـ، دار الاضواء بيروت، ط6، 1405م.

م. د عواد قاسم رسن/ جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية/ الأديان المقارنة

awad.qasim@cois.uobaghdad.edu.iq هاتف07713126377